المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المديرية العامة للأبحاث والمناهج والمواد التعليمية
المكتبات المدرسية

كلمات منيرة

عبد الله حمد الحقيل

الطبعة الثالثة

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المديرية العامة للأبحاث والمناهج والمواد التعليمية
الكتب والمقررات المدرسية

كلمات متناثرة

عبدالله بن حمد الحقيل

الطبعة الثالثة
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونصلى ونسلم على سيد الدعاة ٠٠ وبعد :

تسير بلادنا بخطوات حثيثة وتمضى فى موكب العلم والمعرفة والأخذ بأسباب الثقافة الجادة السليمة باتزان وثبات فأصبحنا مع مطلع كل شهر نلتقى بالكتب والمؤلفات المتنوعة التى تحمل بذور الخير والمحبة والثقافة ٠ وتحمل بين جوانحها أنوار المعرفة ٠ ولا شك أنه أمر يضاعف السرور ويجعل النفس وضاءة بنور الامل ومفعمة بالرجاء ٠٠ وذلك يعود الى تشجيع حكومتنا الجليلة ٠

وهذا الكتاب يمثل مجموعة لبعض الخواطر الأدبية والفكرية والتربوية والاجتماعية فهى اسهام متواضع ولقد رأيت جمعها فى كتاب ٠ وعسى أن أكون قد وفقت بها فهى منبعثة من أعماق نفس تنشد الخير وتهدف الى الاصلاح لنعود كما كنا « خير أمة أخرجت للناس » ٠

والله الموفق والهادى الى أقوم طريق ٠٠

المؤلف

فى ١٣٩٠/٧/١ هـ

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبى الهدى والرحمة ·· وبعد :

فلعل مما حدا بى الى اعادة طبع هذا الكتاب للمرة الثالثة الاستجابة لرغبات عدد من الاخوان والأصدقاء وعسى أن يكونوا قد وجدوا متعة فى مطالعته أو تسلية فى بعض صفحاته أو شيئا من الفائدة خلال قراءتهم له وهو الهدف الذى أتمناه وانى لأشعر بمزيد من السرور والشرف لتلك الرغبات الأخوية المخلصة ممن وقع هذا الكتاب موقعا حسنا فى نفوسهم أو لعل أولئك الاخوة أرادوا أن يؤثرونى بحسن عاطفتهم ويختصونى بجميل مشاعرهم حرصا منهم على أن تكون الكتب الأخرى والانتاج القادم أشمل فائدة وأعم نفعا ·

لذا فانى أقدم هذا الكتاب للقارىء الكريم فى طبعته الثالثة شاكرا لجميع الاخوان والأصدقاء ما تلقيته منهم ابان طبعته الأولى والثانية من عبارات الود والوفاء التى تجلت فى رسائلهم وتقريضهم لهذا الكتاب فى رسائل خاصة وما نشر فى الصحف والمجلات ·

والله نسأل أن يتولانا برعايته وأن يتقبل منا العمل خالصا لوجهه انه سميع مجيب ·

المؤلف

الرياض ١٣٩٩/٩/١ هـ

السـلام عليـكم

عزيزى القـارىء

لعـل خير ما نطالعك به ونتقدم به اليك وأنت تستهل صفحات هذا الكتاب هو أن نقـول لك السـلام عليكم فهى كلمة جميلة و « قول عذب » و « تحية رائعة » و « دعاء لطيف » يفيض بالخير ويشع بالمحبة ويمتلىء بالمودة ٠

حقا ما أجمل التلفظ بها ومبادرة كل صديق وزميل وأخ بهـا فكم يستروح بها الشخص ويأنس بها المرء ويسعد بها الانسان ٠

ما أحسن أن يتمنى المرء الخير لنفسه ولغيره ـ فهى تحيـة لطيفة تزيد الالفة وتقوى أواصر المودة وتزيل كل تنافر وتقضى على كل جفوة ٠

فلنوجه هـذه التحية لكل من يقابلنا سواء فى العمـل أو من يصادفنا فى الطريق ان أناسا عديدين بحاجة الى هذه العبارة الجميلة التى هى مفتـاح للمحبـة وعنوان للمودة وتعبير عن الصداقة ووسيلة الى التعارف وحسن الاخاء ٠

لا شك أنك عندما تلقى هذه التحية حتى على الاشخاص الذين لا تعرفهم أو لا تشعر نحوهم بالمحبة لسوء بينكما سوف تدرك أنهم منجذبون اليـك وسـوف تميـل نحوك قلوبهم ومشاعرهم وسيبادلونك المحبة وسرعان ما تتحول خصومتهم الى حب وود وصـفاء ٠٠

أجل انك عندما تبدأ بالقاء هذه التحية ستحس أن كل بعيد عنك سيكون صديقا وقريبا منك ..

حقا كم يشعر المرء بالسعادة والرضى متى بادر بالقاء التحية ، وأذكر صديقا كان ميالا وسباقا الى البدء بالسلام وتحية من يصادفه فى طريقه . فقلت له ذات يوم ولماذا كل هذا الافراط فى التحية والسلام ؟ فقال : نصف أصدقائى كسبتهم بهذه التحية . فقلت : وكيف صاروا أصدقاء ؟ فقال : ان أشخاصا كثيرين فى حاجة الى أصدقاء ، ولكنك لا تعرفهم انهم يتوقون الى أن تكون صديقا لهم ، ولكنهم يتطلعون الى أن تحدثهم وتكلمهم وتبدأ بالقاء التحية عليهم كى يفتحوا لك قلوبهم وأفئدتهم . فهل يوجد انسان بدون أصدقاء ، والصداقة أولها كلام وحديث . فقلت : هذا شىء جميل . وهنا أدركت سر احتفاظ صديقنا بهذا العدد من الأصدقاء . فلنحاول يا أخى أن نقول لكل من يقابلنا « السلام عليكم » ولنمارس قولها مخلصين وسيفعل مثلك أبناؤك وأخوانك وتلاميذك وزملاؤك . وثق أنهم سيحاولون فى المرات الأخرى أن يسبقوك الى هذه التحية وستجد أنك فيما بعد سعيد بذلك ..

وكم يسوء المرء عندما يلقى هذه التحية على بعض الأشخاص فيقابل بالسكوت وعدم الرد والأولى المبادرة الى ردها .

ومن هنا كانت دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثيرة الى افشاء السلام ورد التحية . ففى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير »

وفى حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه الخ ٠٠ »
وكم فى ذلك من أدب رفيع ومنهج فى التربية كريم وحث على مراعاة الخلق والأدب والمحبة والـذوق ٠ ولا ريب أن افشـاء السلام والقاء التحية يشيع المحبة والالفة والتقارب ٠

فقد شرع الله التحية والسـلام ايناسا وتألفا ومحبة ٠ وفى الحديث « الماشيان اذا اجتمعا فأيهما بدأ بالسلام فهو أفضل » ٠

فالسلام سنة عن الرسول ، ويجب على من سمعه الرد ٠ ومن هنا كانت لفتة القرآن الكريم الى ذلك « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ٠

« اللغة العربية الفصحى ودعاة العامية »

مما لا مراء فيه أن اللغة العربيـــة الفصحى عامـــل حيوي في مجال التفاهم والتقارب العربي ووسيلة مثلى في توطيد الوشـــائح وتأكيد الأواصر ٠

ولذا حرص المخلصون من أبناء الأمة العربية قديما وحديثا على حراسة هذه اللغة وصيانتها من العبث والتمزق ودرء كل عامل يهددها ونبذ كل محاوله لتقويضها ٠

ولقد طلعت علينا فئة تحاول النيل من اللغة العربية الفصحى وطعنها في الصميم وراحت تعمل جاهرة على محاربة اللغة العربية بكل ما تملك من أفانين الحرب مسخرة كل طاقاتها وشتى أساليبها لتفتيت اللغة وهدمها ٠

ويقيني أن هذه المحاولات مهما كانت أسلحتها فهي واهيـــة وعاجزة عن تحقيق ما رسمته وهدفت اليـــه من مآرب وغايات ٠ اذ هدفهم هو اغفال كل ما كتب فيها من العلوم على تعددها ٠

فاللغة العربيـــة الفصحى تصـــدى لها الكثـــيرون في مختلف عصورها وغابر أزمانها ومـــع ماكانت تلقاه تلك الدعـــوات من مروجين فانها وئدت في مهدها لأن الامة العربية بطبيعتها وأصالتها لن تفرط في تراثها وتاريخها وآدابها ومشـــاعرها واحساســـاتها وعروبتها ودينها بمجرد دعوة لا تستند على منطق ولا تقوم على برهان ٠٠

فكيف يريد دعاة العامية أن تكون وسيلة للتخاطب بين الشعوب

العربية وكل قطر كما هو معروف له لهجته المحلية الخاصـــة به يتخاطب بها في محيطه وبيئته ولا تتعداه لسواه ..

فالسعودي مثلا لا يستطيع فهم اللهجة المحليـة اللبنانيـة أو التونسية وكذا الليبي لا يستطيع فهم اللهجة اليمنية او السورية وهكذا دواليك بالنسبة للشعوب العربية الاخرى .

اذا كيف نستطيع التخاطب وفهم ما يكتب وتمييز ما يقصد .

وفي معرض حديث أدبي للدكتور طه حسين حول هذا الموضوع قال (ان اللهجات المحلية لا تساوي هذا الجهد واللغة العربيـــه الفصحى خير أداة لتوحيد الأمة العربيـة والعرب جميعا يفهمون اللغة الفصحى وأقصد بالفصحى وأي فصحى وهؤلاء الذين يكتبون بالعامية التمس لهم عذرا وهو أنهم لم يتعلموا العربية تعليمـا سليما وأعتقد أن الجهل ـ بالفصحى هو الذي يضطرهم الى الكتابة بالعامية الى ان قال لقد قاطعت المسرح لأنه يتكلم بالعاميـة وأنا لا أحب أن أضيع وقتي في مسرحيـات لا تكتب الا بالعـامية .. المسرحية الأصل فيها انها من أرفع فنـون الأدب وأخص مزاياها أنها تكتب باللغة العربية الأدبية الفصحى وهذا موجود في جميـع البلاد المتحضرة منذ العصر اليوناني الى الآن) .

لا شك أن حملة لواء الدعوة الى العـامية يريدون أن تذوب عوامل القربى وتنفصم الصلات وتذوب الأواصر ويعيش كل قطر عربي في بوتقته الضيقة ومحيطه الخاص لالقاء ولا تفـاعل ولا امتزاج ولا يجمعه جامع .

لقد تنبه الكثيرون من كتاب وأدباء الى خطورة الاتجـاه نحو العامية وأثر ذلك على مستقبل اللغة العربية وغـيرتهم على الدين واللغة الى الدفاع عن ذلك فقاموا بدافع من حماسهم وغيرتهم .

ولقد نشرت الصحف في أركانها الأدبية منذ أيام خبرا فحواه أن أحد الأدباء بعث برسالة للدكتور طه حسين مكتوبة باللغة (الفينيقية) وقد رد عليه الدكتور طه حسين برسالة مكتوبة باللغة الهيروغليفية وبالمناسبة فقد سبق هذا كثيرون فمنذ عشرين عاما دارت معركة حامية الوطيس حول موضوع الكتابة بالحروف اللاتينية وقد بدأها السيد عبد العزيز فهمي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٤ م وتصدى له وقتها كثير من الكتاب والمفكرين وعلى رأسهم المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام والعقاد وغيرهما كثير ، ونثبت هنا جانبا مختصرا من آراء الطرفين للاطلاع عليهما وللتدليل على ما بلغه هذا الموضوع في السابق من اهتمام وخطورة ..

لقد حاول الاستاذ عبد العزيز فهمي في اقتراحه بأن تتخذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية قائلا ان اللغة العربية كائن كالكائنات الحية ينمو ويهرم ويموت مخلفا من بعده ذرية لغوية متشعبة الافراد هي أيضا في تطور مستمر ولن يستطيع قومه للآن أن يغالبوا هذه الظاهرة الطبيعية فان الطبع يكبح شراسة من غالبه .

كانت اليونانية القديمة لغة شعر وحكمة فلما استبد التبلبل في ألسنة أهلها اضطروا على الرغم منهم أن يتخذوا من عاميتهم لهجة جعلوا لها قواعد نحو وصرف وهي التي يكتبون بها اليوم ويتكلمونها اليوم .

وكانت اللاتينية لغة الامبراطورية الرومانية فأتى عليها التطور فاشتقت منها الايطالية والفرنسية والاسبانية وغيرها . وكل لغة من تلك اللغات الذراري هي كل يوم في تطور ،

ولكن حال اللغة العربية حال عربية بل أغرب من الغريبه لأنها مع سريان التطور في مفاصلها في عدة بلاد من آسية وافريقية الى لهجات لا يعلم عددها الا الله ، لم يدر بخلد أي سلطة في أي بلد ، أن تجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها نحوها وصرفها • وتكون هي المستعملة في الكلام الملفوظ وفي الكتابة معا تيسيرا على الناس كما فعل الفرنسيون والاسبان والايطاليون وبقي أهل اللغة العربية من اتعس خلق الله في الحياه •

الى أن يقول ان اهل اللغة العربية ستكرهون على أن تكون العربية الفصحى لغة الكتابة عند الجميع وأن يجعلوا على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا ، وأن يردعوا عتولهم عن التأثير بقانون التطور الحتمي الآخذ مجراه بالضرورة رغم انوفهم في لهجات الجماهير •

هذا الاستكراه الذي يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى كي تصح قراءاتهم وكتاباتهم هو في ذاته محنة حائقة بأهل العربية انه طغيان وبغي لأنه تكليف للناس فوق طاقاتهم •

وبعد أن اورد صعوبات العربية الأفعال مجرد ومزيد الفعل الثلاثي وأوزانه الاسماء المصروفة والممنوعة استطرد قائلا تلك الاشواك والعقبات وهذا التعدد يريك الواقع من أن هذه اللغة العربية ليست أمة واحدة لقوم بعينهم بل انها مجموع كل لهجات الاعراب في جزيرة العرب من اكثر من الف وأربع مائة سنة جمعها علماء اللغة وأودعوها المعاجم وجعلوها حجة على كل من يريد الانتساب للغة العربية ولا يعلم الا الله كل لهجة كانت •

الى أن يقول اذن أول واجب على اهل اللغة العربية هو أن يبحثوا عن الطريقة التي تيسر لهم كتابة هذه اللغة على وجه لا

تحمل فيه الكلمة الا صورة واحدة من صور الأداء ...

ثم يقول ولقد فكرت في هذا الموضوع من زمن طويل فلم يهدني التفكير الا في طريقة واحدة هي اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا .
الحروف الهجائية بحسب ما وضعناها لا تخل بشيء من نغمات الحروف العربية بل هي تبرزها جميعا بلا استثناء .

ثم راح يصور مزايا استعمال الحروف اللاتينية فقال : ان ختام اقتراحه طريقة الحروف اللاتينية التي أقرها هي الوسيلة الوحيدة لتحلية لغتنا الفصحى في جمالها وجلالها على الوجه الواحد المتعين من أوجه النطق بكلماتها .

وقد عارضه الاستاذ اسعاف النشاشيبي في مجلة الرسالة المصرية فكتب قائلا : يحق لنا ان نتساءل اذا كان من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التي تمتاز على الأقل بأنها وضعت خصوصا للغة العربية واستبدال حروف بها الى أن يقول أما مقترح تصوير العربية بالحروف اللاتينية فهو كمقترح استعمال تلك العامية ولكل اقليم عربي عامية والاسم العربية قد أجمعت على أن تكون في هذه الدنيا في الكائنين لا أن تبيد في البائدين وأن دعوة الباطل متلاشية ودعوة الحق هي الباقية .

وكذا فقد كتب الأستاذ محمود محمد شاكر في مجلة الرسالة قائلا : عبد العزيز فهمي رجل كنا نعرفه بالجد والحرص والفقه وطول الباع في القانون وكنا نظنه رجلا محكم العقل في جميع نواحيه لا يرمي بنفسه في غمرات الرأي الا على بصيرة وهدى الى ان يقول ان أول التضليل في رسم العربية باللاتينية أن يضيع على

القارىء تبين اشتقاق اللفظ الذي يقرؤه فاذا عسر عليه ذلك صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذي لا نسب له الى أن يقول في ختام مقالته انها فتنة اغتر بها شيخ صالح فاستغلها من لا يرى للعربية حرمة ولا حقا ٠

وكذلك فقد كتب الاستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد في مجلة الرسالة نفسها بعد مناقشةطويلة استطرد قائلا : لقد حاول الاستاذ عبدالعزيز فهمي أن يصلح منااللغة العربية بمشروعه ذلك بأن يجد طريقا ليسهل على الناس قراءة العربيـة صـحيحة كما تلقيناها من الفصحاء ونسي أن اللغة العربية تمتاز على جميع لغات العالم من هذه الناحية نسي أن بها حروف مد وحروف حركة ٠

فهذه اللغة لغة دين ولغـة أدب وعلم وفن انحـدرت الينا من خمسة عشر قرنا الا قليلا تحمل الينا في تضاعيفها مشعل الماضي مضيئا ان هذه النزعات نزعات يبعثها ضعف القوميـة واستهتار بتراث العرب الموروث ونبـذ لكل قديم تلقينـاه عن اصـولنا ٠ وأختتم ذلك بقـول الأديب النـابغة المرحوم مصطفى صـادق الرافعي حيث يقول : لا نعلم كيف يكون ايحاء العربية باستعمال العامة وكيف ترضىلغة القرآن التيتأبى الا أن تتقيد بها اللهجات الاخرى كما محت من قبل لغات العرب جميعها على فصاحتها وقوة الفطنة في أهلها وردتها الى لغة واحدة وهي القرشية ترضى من جهة أخرى هذه اللهجات العامية التي تأبى أن تتقيد بشيء ويستطرد قائلا : اذا حاولنا مذهب الاصلاح العامي فليت شعري أي لهجـة نأخذ وأي لهجة ننبذ ؟٠٠٠

وهنا أكتفي بهذا العرض الموجز من آراء رجال الفكر والأدب الذين دفعهم حماسهم القومي وغيرتهم الدينية والوطنية الى وضع

الحق في نصابه وازهاق الباطل ونسف كل قول معوج وتفنيد هذا المشروع الذي لا يرتكز على دعائم معقولة ونقول لدعاة العامية وسواها دقوا مختلف النواقيس والاجراس واضربوا على كل وتر فلن تجدوا اذنا صاغية أو سمعا يرهف ونردد مع الفرزدق قوله :

ان الاراقم لن ينال قديمها كلب عوى متهتم الأسنان

فهذه اللغة العربية التي صمدت قرونا طويلة وأحقابا عديدة محتفظة بشخصيتها في وجه الغزاة والمستعمرين من الأمم المختلفة كالأتراك والبربر والمماليك وسواهم من المستعمرين ممن حرصوا على تفتيت اللغه العربية وغزو الثقافة العربية والتأثير عليها ومحاولة اغتيالها بطرق وأساليب شتى لقادرة على البقاء والخلود ... لأنها بالغة من حسن البيان والكمال والابداع أقصى ما يمكن أن تبلغه أية لغات اخرى ...

فليس من السهل هجر اللغة العربية والتخلي عنها وكفى أنها لغة القرآن الكريم الذي هو معجزة الرسالة وفي تساؤل رائع يقول العالم اللغوي الشهير ابن جني صاحب كتاب (الخصائص) انا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمي ، وقد تدرب قبل استعرابه من حال اللغة فلا يجمع بينهما بل يكاد يقبل السؤال عن تلك لبعده في نفسه وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه ونرى كثيرا من خصوم العربية والاسلام يشيد بالعربية ويعترف بمزاياها وخصائصها .

اذ يقول المستشرق أرنست رينال في كتابه تاريخ اللغات السامية (من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمه من الرحل تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام

مبانيها وكانت هذه اللغة مجهوله عند الأمم ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل من الكمال الى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر حتى أنها لم يعرف لها من كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد نعلم من نشأتها الا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت، حافظة لكيانها من كل شائبة ويقول المطران يوسف داود الموصلى (من خواص اللغة العربية وفضائلها أنها أقرب سائر لغات الدنيا الى قواعد المنطق بحيث أن عباراتها سلسلة طبيعية يهون على الناطق صافي الفكر ان يعبر فيها عما يريده من دون تصنع وتكلف باتباع ما يدل عليه القانون الطبيعي • وهذه الخاصة ان كانت اللغات السامية تشترك فيها مع العربية في وجه من الوجوه فقلما نجدها في اللغات المسماة (الهندية الجرمانية) ولا سيما الافرنجية منها••

ولقد كتب جول فرن قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الارضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها • ولما أرادوا العودة الى ظاهر الأرض بدا لهم ان يتركوا هنالك اثرا يدل على مبلغ رحلتهم فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما سئل جول فرن عن وجه اختياره للغة العربية • قال انها لغة المستقبل ، ولا شك انه يموت غيرها وتبقى حية خالدة •

ويقول المستشرق جاك بيرك : ان مستقبل الأدب في العالم العربي هو اللغة الفصحى وحدها الزاخرة بالثروة والغنى والتراث ، وليست اللهجات العامية بلغة كيانية بل هي تحريف وتشويه للفصحى ولن تتمكن هذه اللهجات اطلاقا من اجتياز جدار التراث •••

وليس غريبا اليوم على الذين ينـادون بهجر اللغـة العربية واستبدالها بغيرها فلهم في ذلك مآرب شتى من هدم للاسلام ونبذ لما خلفه من تراث رائع ممتـاز وتفتيت للمثل العربيـة ، وما اكثر ما ينطبق عليهم قول الشاعر العربي :

كنـاطح صـــخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

حرس الله لغة القرآن وحفظها وصانها من كل الأعداء وأدام لها القوة والانتصار ٠

لمحات من حياة الشاعر الشاب طرفة بن العبد

يحفل أدبنا العربي بشعراء أفذاذ بهروا العقول وملأوا الآسماع وتسنموا قمة المجد ومنهم ذلك الشاعر الذي عرف بابن العشرين أو الشاب القتيل أو الشاعر الفتى ٠

ولقد كان في حياة (طرفة بن العبد) القصيرة ، وفي شعره القليل موئلا لأقلام الكتاب والأدباء والمؤرخين ، حيث بزغ نجمه وذاع صيته وأصبح اسمه في فم الدهر مثلا حيا على النبوغ والعبقرية وأهله شعره لأن يبرز ويصبح في عداد أساطين الشعر ونوابغ الشعراء وفحول القريض ، وامتد ذكره قديما وحديثا نظرا لما يمتاز به شعره من بليغ القول وضرب المثل واسداء الحكمة ٠

ولد في البحرين في بيت رفيع ، وينتمي الى قبيلة بكر بن وائل ، والتي يقول فيها :

سائلوا عنا الذى يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم
وتفرعنا من ابني وائل هامة العز وخرطوم الكرم
من بني بكر اذا ما نسبوا وبني تغلب ضرابي البهم

ولقد حرم منذ صغره من رعاية أب يعطف عليه ويسهر على رعايته ويهتم بتنشئته فكلفه أعمامه ولم يكثرثوا بتربيته او يهتموا بأمره وتوجيهه فصار يهوى الدعة ويميل الى اللهو ٠٠٠ وكان شابا فصيحا جريئا على جانب كبير من الاعتزاز بالنفس والثقة بها ٠٠٠

وكان رجلا كريما متلافا يهوى معاقرة الخمر ومغازلة النساء وميالا الى اطلاق النفس في وقت الرخاء على سجيتها ، أما اذا كان وقت الشدة فانه من أول الملبين للداعي فهو يرى أنه صاحب المكانة الأولى اذا ما دعا الداعي وهتف المنـادى ويورد ذلك في كثير من شعره ومن ذلك قوله :

اذا القوم قالوا من فتي خلت انني ... عنيت فلم أكسل ولم أتبـلد
ولست بحـلال التـلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فان تبغني في حلقة القوم تلقني ... وان تلتمسني في الحوانيت تصطد

وكذا قوله :

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه ... خشاش كرأس الحية المتـوقد

وفي وصيته لابنة أخيه معبد :

فان مت فانعيني بما أنا أهـله ... وشقى على الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعليني كامرىء ليس همه ... كهمي ولايغني غنائي ومشهدى
بطيء عن الجلى سريع الى الخنا ... ذلول بأجماع الرجـال ملهـد

ولكن نفى عني الرجـال جـراءتي ٠
عليهم واقدامي وصـدقي ومحتـدي

وله في الحياة نظرات وآراء تختلف عن آراء غيره من الشعراء كما ان شعره يمتلىء بالفوائد التاريخيـة الجمة والحـكم البليغة المفيدة ذات القيمة والتأثير في حياة الانسان يخرجها في اطار بعيد كقوله :

عن المرء لا تسـأل وسـل عن قرينه
وكل قـرين بالمقـارن يقتـدي

وقولـه :

اذا كنت في حاجـــة مرســـلا فأرسـل حكيما ولا توصـــه
وان ناصـــح منـك يوما دنا فـــلا تنـأ عنـه ولا تقصـه
وان باب أمر عليـك انتـوى فشـــاور لبيبـا ولا تعصـــه
وذو الحـق لا تنتقص حقـــه فان الوثيقـــة في نصـــه
ولا تذكر الدهـــر في مجلس حديثـا اذا أنت لم تحصـــه
ونص الحـديث الى أهـــله فان القطيعـــة في نقصـــه
ولا تحرصن فـــرب امـــرىء حريص مشـــاع على حرصـه
وكم من فتى سـاقط عقـــله وقد يعجب النـاس من عقـله

وقولـه :

وان لسان المرء ما لم تـكن له حصاة على عـــوراته لدليـل

وقولـه :

الخـــير خـــير وان طال الزمـــان به
والشر أخبث مـــا أوعيت مـــن زاد

لهذه الأمور العديدة صارت حياته مجالا لأقلام الكتاب وألسنة الخطباء والحكماء ، ومن ذلك قوله في معلقته وهـو كثـير الا اني سأورد ما يكفي اذ يقول في حكمة وعبرة وادراك :

أرى قـــبر نحـــام بخيـــل بما له
كقبر غوي في البطـــالة مفســـد
أرى الموت يعتـــام الـكرام ويصـــطفي
عقيـــلة مـال الفـــاحش المتشـــدد
أرى العيش كنزا ناقصـــا كل ليـــلة
ومـا تنقص الأيام والدهـــر ينفـــد

لعمـــــرك ان الموت ما أخطـــأ الفتى
لـكا لطـول المرخى وثنيـــاه باليـــد

الى أن يقول وما أعظم ما يقول :

وظلم ذوي القـــربى أشـــد مضاضة
على المرء من وقـــع الحســام المهنـــد

ولو لم يقل في الحكم الا بيته المشهور لكفى ذلك شـاهدا ، ولقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم أنشده وهو قوله :

ستبدي لك الأيـــام ما كنت جاهـــلا
ويأتيـــك بالأخبـــار من لم تزود

ولقد فضله القدامى على غيره من الشعراء لطويلته هذه أي المعلقة ونورد بعض ما قالوه في ذلك قال ابن قتيبة (انه أشـــعر الناس طويلة) • وقال لبيد العامري : انه أحد ثلاثة جعلهم لبيد أشعر العرب وهم الملك الضليل أي امرؤ القيس والغلام القتيـل يعني به طرفة والشيخ ابو عقيل ويعني نفسه •

وقال ابن رشيق (انه أفضل الناس واحدة عند العلماء ويقول عمرو بن العلاء وهو من اكبر علماء اللغة ان طرفة أشعرهم واحدة يعني اشعرهم معلقة وذهب البعض الى اكثر من ذلك وأبعـــد من هذا فاعتبروه بأنه أشعر الناس •

وهذه الأقوال والآراء في نظري هي موضع خلاف الا أنهـــا تدل على مكانة هذا الشاعر وسموها كما انها شـهادات ذات قيمة ووزن من رجال أفذاذ لهم في دنيا الشعر والنقد واللغة علو المنزلة ورسوخ المكانة ••••

ومما يروى عن حدة ذكائه وسرعة بديهته وما فطر عليه من السخرية والتهكم بكل ما حـــوله في صـغره وحتى ولو كان من

الاقربين أن خاله جرير الملقب بالمتلمس كان مرة ينشد في مجلس لجماعة من العرب شعرا في وصف جمل وطرفة يلعب مع الصبيان حولهم ويصغي الى ما ينشده خاله فلما وصل المتلمس الى قوله :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكرم

والناجي هو الجمل والصيعرية سمة في عنق أنثى الابل فلما سمع طرفة البيت صاح يقول (استنوق الجمل) · فصار قوله مثلا في التخليط في الكلام ولما سمعه خاله دعاه ثم قال له أخرج لسانك فلما أخرجه رآه أسودا فقال المتلمس (ويل لهذا من هذا ويشير الى لسانه ورأسه ولقد صدقت نبؤة خاله ان صح ما روى في قصة مقتله ·

ولقد وفد على عمرو بن هند ملك الحيرة مع خاله المتلمس وكان منتجعا للشعراء يقصدونه وينشدون أشعارهم بين يديه · ولقد اعجب به عمرو بن هند واتخذه وخاله نديمين له · وكان لطرفة صهر يقال له عمرو بن بشرفي حاشية عمرو بن هندو كانت أخت طرفة قد شكت اليه سوء معاملة زوجها لها فهجاه طرفة واتفق أن عمرو بن هند قد خرج الى الصيد وبصحبته عمرو بن بشر وبينما هم يلاحقون الصيد اذ طرحوا حمارا وحشيا فأمر عمرو بن هند صهر طرفة أن يذبحه فنزل ولم يستطع ذبحه وكان عظيم الجسم كثير الشحم فضحك عمرو بن هند وقال كآن طرفة رآك حين قال :

ولا خير فيه غير ان له غنى وان له كشحا اذا قام أهضما

وهو بيت من القصيدة التي هجاه بها فغضب لذلك صهره فقال ما هجاك به أقذع من هذا قال وما هو قال قوله :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تدور ·· الخ

فقال عمرو بن هند ما أصدقك عليه وان كان بدا يحمل في صدره حقدا على طرفة وخاصة بعد ما شبب بأخته اذ قال فيها :

يا بأبي الظبي الذي تبرق شفتاه ولولا الملك الجالس ألثمني فاه

ومن ذلك فقد أخذ عمرو بن هند في الحقد على طرفة ولكنه لم يظهر الغضب بل كتمه في نفسه خوفا من أن تدرك الرحم صهره ، فينذر طرفة وكذا خوفا من هجاء خاله المتلمس ان هو قتله علنا فتجتمع عليه بكر بن وائل قبيلة طرفة وتؤلب القبائل ضده فيكون ذلك سببا في ازالة ملكه وضياعه وبالتالي قتله والقضاء عليه ·

قصة قتله :ـ

مكث عمرو بن هند يتحين الفرص التي ينتقم فيها من طرفة وخاله لهجائهما اياه وكان المتلمس قد هجا عمرو بن هند قبل وفادته عليه بزمن فكان الملك يتناسى هجاءهما له ليبعد عنهما الشك والريبة ثم يبطش بهما على غرة فقربهما منه وصار ينادمهما ويؤانسهما حتى اطمئنا اليه اطمئنانا أزال الخوف عنهما وابعد شبحه ، فلما لمس الملك ذلك استدعاهما وقال لعلكما اشتقتما الى اهلكما فقالا نعم فكتب الملك لكل منهما كتابا الى عامله في البحرين وأمرهما بالذهاب اليه وأخذ الجوائز منه فأخذ كل منهما كتابه اليه وذهبا في طريقهما الى البحرين ولما بلغا النجف من أرض العراق أحس المتلمس في نفسه شكا من هذه الصحيفة ومن تقريب عمرو لهما فقال لطرفة اني لأشك في هاتين الصحيفتين وأنه لأمر مريب أن يرتاح لنا عمرو كل هذا الارتياح واني لن أنطلق بصحيفة لا أعلم ما فيها ، فرد عليه طرفة بقوله انك لسيء الظن

ان كان في الصحيفة ما وعدنا به والا رجعنا فلم نترك له شيئا ويريد طرفة بقوله هذا هجاء عمرو بن هند ، ان كذبهما فلم يوافقه المتلمس وعدل حيث رأى غلاما من أهل الحيرة فطلب أن يقرأ الصحيفة فلما قرأها الغلام صاح بقوله :

ثكلت المتلمس أمه « فأخذ الصحيفة ورمى بها في الماء فصارت صحيفة المتلمس مثلا يضرب ثم قال لطرفة » تعلمن والله أن الذي في كتابي مثل مافي كتابك «فقال طرفة انيكن قد اجترأ عليك ماكان بالذي يجترىء علي » فتركه المتلمس ونجا بنفسه في الشام ٠

أما طرفة فقد واصل سفره الى البحرين فلما وصل الى عامل البحرين وكان من اقربائه قدم له الكتاب فقال له بعد أن قرأه : أتعلم ما أمرت به فيك فقال طرفة نعم أمرت أن تجيزني وتحسن الي فقال له ان بيني وبينك لخؤوله أنت لها راع فاهرب الليلة من البحرين فاني أمرت بقتلك واخرج قبل أن يأتي الصباح ويعلم الناس بقدومك فساء ظن طرفة به وظنه طرفة بخلأ بالمال فقال له هل عظمت جائزتي عليك فاردت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند علي سبيلا ولا ذنب علي وأقسم ألا يبرح مكانه حتى يعطيه جائزته فأمر بحبسه ثم كتب الى عمرو بن هند يستعفيه من منصبه ويطلب اليه أن يرسل عاملا بدله ٠٠ لأنه لا يريد قتل أحد قرابته ٠

فأرسل عمرو بن هند عاملا ليخلفه من بني تغلب وقد اجتمعت بكر بن وائل وهمت بقتله لتحريض طرفة اياهم بشعره الذي يبعثه وهو في السجن ويلومهم على خذلانهم اياه ومنه قوله :

أسلمني قومي ولم يغضبوا لسوءة حلت بهم فادحة

وقال يخاطب عمرو بن هند :

أبا منذر كانت غرورا صـــحيفتي
ولم اعطكم بالطوع مالي ولا عرضي
أبا منـذر أفنيت فاستبق بعضـنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض
فأقسمت عنـــد النصب أني لهالك
بمتلفـــة ليست بغبط ولا خفض

وانتدب العامل الجديد رجلا لقتله وقتل قريبه العامل السابق ويروى أن الذي كتب في صحيفة المتلمس هكذا :

« باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعبر اذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنـــه حيا » وكان الذى في صحيفة طرفة شبه ما في صحيفة خاله ولقد أحزن مقتـل طرفة اخته فرثته بأبيات بليغة تؤرخ بها حياته وتبكي عليه وتندبه منها:

عددنا له ستا وعشرين حجـــة فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنـا به لما انتظرنا ايـــابه على خير حال لا وليدا ولا قحما

وهكذا انتهت حياة شاعر فحل على اسوأ ما تكون الميتة وكان ذلك نتيجة غروره وافراطه في الثقة بنفسه ..

اسباب نظمه لمعلقته :

كان طرفة قد انفق جميع ما يملكه في اللهو فسخطت عليـه عشيرته ونفرت منه وابتعدت عنه فولى عنهم غاضبا فذهب يتنقل بين أحياء العرب حتى سئم هذا التشرد ومل هذا النمط من الحياة حيث ذاق مرارة الحرمان والشقاء فرجع نادما الى أهله فعهد اليه

أخوه معبد القيام برعاية ابله فكان يهملها ولا يهتم بأمرها وازداد تفريطا بذلك حتى أخذها قوم من مصر فالتجأ الى ابن عمه مالكا يرجوه أن يساعده في طلبها فزجره وانتهره وقال له (فرطت فيها ثم جئت تريد ان تتعبني في طلبها) ٠

فتأثر طرفة من قوله وهاجت شاعريته وتوقدت نفسه فقال معلقته يترجم فيها مشاعره ويعكس احساساته ويرسل خطراته ويبث لواعجه **ومطلعها :**

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم فيظاهر اليد
وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وهذا البيت الأخير اعتبر من توارد الخواطر مع امرىء القيس في قوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وفي محاولة للبحث عن أيهما اقتبس من الآخر لم اتمكن من مقارنة ذلك وبالبحث عن تاريخ حياة ووفاة كل منهما وجدت ان الاستاذ عبد القادر المغربي عضو المجمع اللغوى في دمشق يشير الى وفاته في محاضرة له ويقول أن وفاة طرفة كانت سنة ٥٥٠ للميلاد وفي دائرة المعارف الفرنسية سنة ٥٧٠ م اما امرؤ القيس فكانت وفاته سنة ٥٦٠ م وفي شعر طرفه عندما نتأمله ونمعن النظر فيه نجد أنه لا يقبل أن يأخذ من غيره ويدلل على ذلك بقوله :

ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا

ولعل من أحسن ما جاء في معلقته أبياته في معاتبة ابن عمه مالكا حيث يقول :

ومالي اراني وابن عمي مالـكا متى أدن منه ينأي عني ويبعد
يلوم وما ادري عـــلام يلومني كما لا مني في الحي قرط بن معبد
واياسني من كل خـير طلبتـه كأنا وضـعناه الى رمس ملحد
على غير ذنب قلته غـــير أنني نشدت فلم أغفل حمولة معبـد

ولقد أتى في معلقته على كثير من الأحوال والأوصاف فقـــد وصف أطلال محبوبته حوله بايجـــاز بعكس غيره من الشـــعراء الجاهليين ممن كان يسهب في ذلك ولا يكتفي بالوقوف والتحسر بل يطنب في ذلك ثم ينتقل بعد ذلك الى وصف نياق الضـــعائن حيث يقول في تشبيه بديع رائع ·

كأن حـــدوج المالكيـــة غـدوة
خـلايا ســـفين بالنواصف من دد
عدوليـــة أو من ســفين ابن يامن
يجـور بها الملاح طورا ويهتـــدي
يشق حبـــاب المـاء حيزومها بهـا
كما قســـم الترب المقابل باليـــد

ولم ينس ناقته التي ساعدته على نيل مقاصده وتحقيق مآربه فقد أسهب في وصفها وسرعة سيرها وخفة حركتها بحسه وعقله اذ وصفها بثلاثين بيتا منها على سبيل المثال :

واني لأمضي الهم عند احتضـاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كالواح الأران نصـــاتها على لاحب كأنه ظهر برجـد
جمالية رجنـــاء تردى كأنهـــا وطيفا وظيفا فوق مور معبد

كما وصف نفسه بالجود والسخاء الى جانب وصـــفه لمجالس لهوه مع ندمائه وكذا معـاتبة ابن عمه مالكا ويمضي متدفقـــا

في معلقته ، ويجيء فيها على توضيح رأيه في الحياة ، ثم يلوي في الاخير حيث ينتهي الى نهاية كل حي وهو الموت فيقف عند ذلك ، ويعلم ابنة اخيه معبدا كيف ترثيه وتندبه بما هو لائق به من القول ، حيث يقول :

اذا مت فارثيني بما أنا أهله
وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعليني كامرىء ليس همه
كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي
بطيء عن الجلى سريع الى الخنا
ذلول بأجماع الرجال ملهد

ويختتم معلقته بأبيات تنطوي على الحكمة لا تزال مضرب الامثال وتزخر بالحكمة والقول السديد ـ

دراسة وتحليل :

لقد اهتم كثير من مؤرخي الادب ونقاده بحياة هذا الشاعر النابغة وذلك لما حفلت به حياته على قصرها من نوائب وأحداث وما امتلأ به شعره من روائع الحكم وبدائع القول يدل على ما وهب من ذكاء مفرط واستعداد أصيل رغم ما قاساه من مرارة العيش والحياة القاسية ..

وما سلكه من مسالك متعددة صعبة حيث أمضى صباه يئن تحت وطأة الضياع والتشرد وعدم الاكتراث ، ولم ينعم بحياة كريمة وهو ما تجلى في شعره وتبدى في قوله حيث راح يكشف تفاصيل أطوار حياته ويميط اللثام عن ذلك ..

فالحياة بأحداثها ومراراتها قد منحته مزيدا من التجارب حيث امتلأت نفسه بالمعرفة ونطق بالحكمة .

وفي معلقته جسد الكثير من طرائق حياة العرب ونمط معيشتهم وألوان سرورهم وملاهيهم وما كانوا عليه من بذل وكرم ونخوة وبأس وشجاعة ، والواقع أن شعره صورة قوية لشخصيته حيث صور حياته وسخط عشيرته عليه ، وزرايتهم به حيث ظل هائما في الفلوات والتجوال بين مضارب القبائل وهو أمر له تأثيره وفاعليته ، ويقول في ذلك :

سادرا أحسب غيي رشدا فتناهيت وقد صابت بقر

واصطبغ شعره بتصوير ما يحيط به من مشاهد وتأثر بما يجري حوله من أحداث وعادات ، والشعر كما يقال مرآة الشعور وصورة الوجدان يعبر عن صاحبه ويوضح خفايا نفسه ، ولقد جاء شعره يهز النفوس ويجعل قارئه ومنشده يمتلىء احساسا واعجابا حيث امتاز بصدق الاحساس ودقة الوصف وجمال التصوير وقوة الوقع ...

ولقد بلغت معلقته مبلغا رفيعا وحازت اعجابا واستحسانا وجاء نظمه لها بأسلوب مؤثر ولفظ جزل وبيان محكم كما أن شعره متين النسج قوي التركيب ولعل تجويده وابداعه في الوصف والحكمة مما جعل شعره نشيد الأفواه ، ولا غرو اذا جاء شعره بهذه القوة والجزالة ، فهو ابن بيئة أنبتت عمالقة الشعر وموطن شعراء أفذاذ يعتبرون في الذروة ...

ويشير الأستاذ مصطفى السقا في معرض حديث له عن شعراء ربيعة اذ يقول :

(ان الشعراء الربعيين من بكريين وتغلبين وشيبانيين وعبديين) نسبة الى عبد القيس ، كالأخنس بن شهاب وسعد بن مالك وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد والمتلمس وغيرهم ،وهؤلاء

هم المدرسة الأولى الذين وضعوا تقاليد الشعر العربي من حيث طول القصيدة واشتمالها على عدة أغراض ومن حيث المقدمة الغزلية والسبق الى أشرف المعاني ، وعنهم أخذ بقية شعراء الجزيرة العربية هذه الابتداعات الفنية وحاكوهم فيها منافسة ومغالبة حتى برعوا فيها وخاصة شعراء الحجاز وما قرب منه من أرض نجد ...

ولقد أثبت ابن رشيق في كتاب (العمدة) أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة حتى تحول في قيس وغيرهما .

وأثبت صاحب الأغاني في تراجمه للشعراء أن سائلا سأل حسان بن ثابت من أشعر الناس ، فقال . أشعر الناس الزرق من بني قيس بن ثعلبة ومنهم طرفة والمرقشان وغيرهما ...

من هنا يتجلى لنا أن البيئة التي عاش فيها طرفة كانت موطنا وموئلا لكثير من الشعراء فعمه الملقب بالمرقش الأصغر من فحول الشعراء وخاله المتلمس من أفذاذ الشعراء وغيرهم كثير ممن كانت تحفل بهم تلك البيئة حيث كانت قبائل بكر تنزل على ضفاف الخليج فاجتمعت لها مزايا متعددة من حضارة وتقدم لقربها واحتكاكها ببلاد الهند وفارس وغيرهما ...

لقد أتى طرفة في شعره على جميع الأغراض الشعرية من حكم وهجاء ووصف وغزل ، وكان طبيعيا أن يتغزل في شعره كسائر الشعراء ولقد برع في ذلك ...

ولقد كان الغزل والهجاء من الأمور والأسباب في نكبته حيث ان تشبيهه بأخت عمرو بن هند الى جانب هجائه له مما سبب اضطهاده وبلواه وزيادة النقمة والسخط عليه ، ولقد كان عمرو ابن هند قاسيا في انتقامه ولم يجعل السجن كافيا له بل أمر بقتله

بطريقة بشعة وعنيفة حيث أمر حاكمه امعانا في ايذائه والنكاية به ان يقطع يديه ورجليه وان يدفنه حيا ...

ولقد حاول طرفة في سجنه ان يستدر عطفه وحنانه عليه حيث كان يرسل أشعارا حزينة وموجعة ويشير فيها الى من حرض عليه ولكن بدون جدوى ...

ولقد حاول من قبل أن يلطف الجو بينه وبين عمرو بن هند فقد اعتذر اليه بقصيدة :

اني وجدك ما هجوتك والـ أنصاب يصفح بينهن دم
ولقد هممت بذاك اذ حبست وأمر دون عبيدة الودم
أخشى عقابك ان قدرت ولم اعذر فيؤثر بيننا الكلم

حقا ان المتأمل لشعر طرفة سيجد بين ثناياه شعرا قويا رصينا ولعله أراد لشعره أن يكون كذلك ويدل على هذا قوله :

وان أحسن بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وهكذا تحقق ما أراد فقد أصبح شعره من الجودة والأصالة وصار من الشواهد والأمثلة الحية قديما وحديثا ...

أهمية إحياء التراث العربي والإسلامي

دراسة التراث منذ أزمان بعيدة وهي تستأثر بعناية الباحثين وموضع اهتمام المشتغلين بالمعرفة ولطالما تخصص الكثيرون فيذلك واشبعوا ميولهم وشغفهم بهذا اللون من الدراسات ، وتخصص الكثيرون في قراءة الخطوط القديمة ..

وبالأمس كنت أطالع قائمة مطبوعات لبعض دور النشر في لبنان واذ فيها محاولات طيبة لنشر واخراج وتحقيق مجموعات من التراث العربي القديم وضبط لبعض المخطوطات العربية والاسلامية مع تصنيف وتبويب وذلك باشراف لجنة متخصصة لهذا الغرض ..

ولقد تجلى التراث العربي والاسلامي بانتاج باذخ عظيم وكان نورا لأمم الارض اذ ذاك ونبراسا سار على نهجه رواد المعرفة آمادا طويلة ..

ان التراث العربي والاسلامي يعتبر غنيا وحافلا بالعلم والمعرفة دينا وأدبا وشعرا وفلسفة وتاريخا وعلما ، فما أجدرنا ان نعمل على احياء الذخائر من تراثنا والعمل على اخراجه بحلة لائقة ..

ان كثيرا من تراثنا ومخطوطاتنا لا تزال مبعثرة في مكتبات العالم وحبيسة في قاعات المتاحف .

ان احياء ذلك التراث لأمر حيوي فان ما بذله أولئك الأسلاف من جهد علمي يجب ان يستفاد منه فهو يمثل أسس ثقافتنا وركائزها الأولى .

ان كثيرا من المتاحف والمكتبات العالمية تحفل بمزيد من المخطوطات العربية والاسلامية ويوجد بين جنباتها وخزائن كتبها

ويتمثل ذلك بدرجة أولى في كل من تركيا واسبانيا ففي كل منهما أعداد هائلة من مفاخر التراث الاسلامي ...

لقد خلف أسلافنا رحمهم الله ثروة رائعة من المؤلفات في شتى ضروب المعرفة وكانوا يهتمون في جمع الكتب ويتبارون في ذلك فاذا خرج كتاب في المشرق حرص على البحث عنه واقتنائه من في المغرب وكانوا معنيين في جمع الكتب لدرجة ان الكثير يصطحبها معه في رحلاته ووضعوا المعاجم لترتيبها وتنظيمها .. ولا شك أنه قد ضاع الكثير فالمعروف ان تراثا عظيما قد زال واندثر واحرق وغرق ، فقد قرأنا في كتب التاريخ عن أعمال التتار وما قاموا به من اغراق الكتب الموجودة في خزائن بغداد ابان استيلائهم عليها وانه قد اسودت مياه نهر دجلة من شدة ما رمي به من الكتب وما ألقي فيه من الأوراق ، كما انه قد ضاع الكثير من الكتب الاسلامية ابان ضياع الأندلس « الفردوس المفقود » كما يحلو لكثير من الكتاب والمؤلفين تسميته بذلك ولقد شمخت فيه الثقافة الاسلامية ابان ضياع الأندلس « الفردوس المفقود » كما يحلو

فقد كانت مكتبات أمراء الأندلس وعلمائها وأدبائها تمتلىء بروائع الكتب ونفائس الأسفار حيث كانوا يتبارون في ذلك ويعتنون في جمعها والمحافظة عليها وكم حمدت الله كثيرا على توفر الطباعة في هذا العصر وتذكرت كيف كان القدماء يكتبون على عسيب النخل والالواح والعظام والحجارة وعلى الجلود والبردى الى أن بدأت صناعة الورق تنتشر رويدا رويدا ..

هكذا كان أسلافنا يحافظون على جمع تراثهم ، لذا فان الواجب يدعونا الى ان نحرص على هذه الثروة الثمينة التي تركوها لنا والا نتساهل فيها ..

لذا فكم نتمنى لو تقوم بعض المكتبات لدينا باماطة النقاب عن ذلك والعمل على تحقيق ما تيسر الحصـــول عليـه وطباعته والاستفادة منه • اننا بذلك نخدم ثقافتنا وتراثنا الذي طالما كان مصدرا لاعتزازنا ، ولا زال ••

وطالما أضاء للعالم دروب الخير والفائدة والاصلاح •••

الأديب والمجتمع

الأديب رسام يصور الحياة فهو يسلط أضواءه على المجتمع ، فيستشف ما في تلك النفوس وما تنطوي عليه من غرائز وعادات وآمال وآلام ويغوص في بحرها المتلاطم ، فتراه يبصر ما يختلج في النفوس ببصره النافذ فيدرك مواطن قوتها وضعفها ، ويعرف مجتمعه وما يحيط به من خير وشر ، وجمال وقبح ، وصدق وكذب، ذلك هو الأديب حقا الذي استطاع أن يعبر عن مجتمعه فكأنما ينطق بلسان كل فرد من أفراد المجتمع ·

ذلك الأديب الذي عاش على مقربة من أمته ومجتمعه ، فراح يصور بريشته النقية ما ينعكس على مرآته الصافية من أحوال ذلك المجتمع الذي يحيط به فهو منه يستلهم واياه يناجي ·

وما الاديب العظيم الذي يجب ان يحل في المنزلة الرفيعة والمكانة العالية من أمته ومجتمعه الا الذي يجيد الامساك بوتره الحساس فيضرب به فيمس شغاف القلوب وخبايا الصدور وأعماق الافئدة ، ومما لا شك فيه ان المجتمع يستجيب للقريب منه ، فتخفق له القلوب ، ومن حسن ذوق الاديب أن يستوعب في أدبه احساس مجتمعه ويعبر عما يعتمل في بيئته فبذلك يكون مجتمعه مستجيبا له ومتجاوبا معه ·

واننا حينما ننظر الى بعض أدباء العالم الذين حازوا على شهرة كبيرة ورضى من مجتمعاتهم وقرائهم نجد أصل تلك الشهرة والرضى مرجعه الى ان هؤلاء الأدباء يخاطبون مجتمعهم ويتقربون منه ويحاولون اجتلاء ما يعتلج في نفسه فكان بينهم تجاوب ملكوا به ناصية مجتمعهم ·

وما الأديب الا كالطبيب النطاسي للمجتمع ، فكما ان الطبيب يشخص المرض ثم يقوم بعملية علاجه كذلك الأديب يشـــخص أمراض المجتمع يأخذ بيده الى سبيل النجاح ومن هنـا وجب على الأديب أن يدرس العوامل الفعالة والخطوط الرئيسية التي يمكن أن يأخذ بها وأن يشعر بالمسؤولية والتبعة الأدبية الملقاة على عاتقه فيتحدث الى هذا المجتمع ويحكي الواقع في صدق وأمانة فياخذ بيد أمته الى الخير وتكون توجيهاته وكتاباته ملؤها التطلع الى المستقبل وزرع الأمل في النفوس والطموح الى **أبعد الغايات** ٠

وان أمثلة كثيرة في التاريخ لا حصر لها تبين لنا كيف يتضامن الأدباء مع مجتمعاتهم ويتجاوبون معها على النهوض بالبلاد فيؤدون واجبهم باخلاص واخاء وتعاون ومحبة ٠

فللادباء دور هام في النهضة والرقي والتقدم بما يسدونه من جليل الخدمات في سائر الميادين فيغرســون في النفوس دروس الوعي والوفاء والعزيمة والنظام والقيم المثلى والتضحية والاخلاص ويتفهمون نوع المجتمع الذي يريدون بناءه واصلاحه فتكون الغاية اسعاد ابنائه ورفع مكانته ، واعلاء شأنه ٠٠٠

فيخلقون من تصويرهم لهذه الأشـياء تراثا أدبيـا له قيمته ومكانته التي تخوله من ان يفرض نفسه ويكسب ابنـاءه المهابة والاكبار والاحترام ٠

وهذا لا يحصل الا اذا عم الأمة وشمل المجتمع نشاط ووعي وادراك ٠

وأما من طوحوا برســـالة الأدب ولم يعيروها حق الاهتمام والرعاية كأنهم لم يشعروا ويعرفوا بأن الأدب مسؤولية ورسالة كبرى ذات معنى عميــق وهدف نبيــل بل تحصــنوا في بروجهم

العاجية وارتفعوا عن مجتمعاتهم ولم يشاركوا ناشئتهم الجديدة ويولوها العناية والغرس والتنمية والتوجيه المثمر ويرسموا المسلك الصحيح ، والمبدأ المستقيم ، والنهج القويم ، ولم يوالوه بالرعاية والتغذية ·

فهؤلاء جناية على الأدب ، وعبء ثقيل على الأمة ، والسلام على الأدب يوم يكون هؤلاء عماده ، وحماته أولئك الذين لم يكلفوا أنفسهم أي جهد في خدمة الأدب ورفع مستواه ·

وهناك صنف آخر شارك أولئك في جنايتهم على الأدب ولكنهم خالفوهم في المسلك فهم قريبون من المجتمع ولو أرادوا اصلاحه وتوجيهه الوجهة المستقيمة لاستطاعوا ذلك ، ولكنهم بدلا من هذا راحوا يدسون السم في العسل ويحاولون صبغ تلك العقول بصبغة لا يمكن ان يكون عليها مجتمع صالح أولئك هم صعاليك الادب حقا فلا يعنيهم ان كان ما يكتبونه نافعا أم ضارا ما داموا يكسبون من ورائه كسبا ماديا ، فمتى كان الأدب وسيلة حتى يسخره هؤلاء لاغراضهم الشخصية فهؤلاء هم الذين تجب محاربتهم ومحاربة أدبهم لانه بمثابة ملهاة وسخرية ومضيعة للوقت فهم وأدبهم أبعد ما يكون عن الادب السامي الذي يدفع الامة الى المعالي ويردها عن سفاسف الامور وتوافهها ، ولهذا وجب ان تكون هناك صلة قوية بين الاديب والمجتمع وعلاقة وشيجة تربط كلا منهما بالآخر ، وان لا يتنكر كل منهما لصاحبه فالاديب للمجتمع والمجتمع مادة الاديب ، فالوطن في حاجة الى التعاون والتعاضد بين الاثنين فعلى الجميع السعي في اسعاده ورفع شأنه والاخذ بيده حتى يصل الى معارج المجد وذروة التقدم ·

افتقارنا الى النقد الأدبي

لعلي لا أكون مجانبا للصواب أو مجافيا للحقيقة اذا قلت ار النقد عندنا في أزمة ، ولعل سبب ذلك عدم وجود النـــاقد الذي يلتزم بقواعد النقد ومناهجه ، ويعطي الرأي الصحيح في مختلف قضايانا الفكرية ، ويحفظ لادبنا كيانه وشخصيته ، ويصونه من التردي والهبوط ..

اننا في حاجة الى الناقد الادبي الذي يملك الموهبة الاصيلـة والاحساس الدقيق والشعور المرهف والنظرة النفاذة والدراسة المتأملة والوعي الرفيع متحررا من النزعة الشخصية ومتجردا من كل غرض نفسي لا يتسلط عليه الغرور ولا يستبد به الوهم بـل يتطلع بصدق واخلاص الى الاثر الادبي فيوليه عنايته واهتمامه ويستوفيه درسا وتمحيصا فيجسم المعايب والمساوىء ويومىء الى الحسنات وينبه الى كل عمل مبدع خلاق بدون اثارة أو تحـامل أو تجريح لقد تبلورت مفاهيم النقد لدى كثير من الامم ، وصـار نقادها محل تقدير واعجاب من مختلف الهيئات الادبية لانهـــم تســاموا عن كل التوافــه فارتفعوا بعملهم وانتــاجهم فارتفعت قيمتهم وقاموا بتحليل ما ينقدون في اطار ســليم وبأسلوب علمي نقي ، اتجهوا الى التماس الخصائص والمزايا في نوعية الانتاج ، ومدى أوجه الجمال ونبل الفكرة وسمو الهدف واكتمال الاداء ..

اننا نقرأ في صحفنا بعض الاحايين نقدا وردا هما أبعد مـا يكونان عن طبيعة النقد وطرائقه الصحيحة .

ان كثيرا من كتابنا يشطح كثيرا ويبتعد عن النهج السـوي عندما يدخل في مناقشة لموضوع فكري أو انتاج أدبي ، أو قطعة شعرية أو نظرية أدبية ، فلا يدقق في الناحية الموضوعية ولا يسلط أضواءه على كل الهنات ، ويشير الى كل عتمة وضباب ويعزف عن الجري في تافه القول ويحكم حكما يضع كل أمر في نصابه ٠

ليست غاية النقد أن تتدافع الاقلام في أمور شكلية ونواح شخصية ولجاجة فارغة وصرف الوقت في التأرجح والدوران مما يخرج بصاحبه عن وجه الصواب ، وهذا مما جعل أدبنا يغلب عليه طابع الركود وتتعاوره أسباب الفتور ٠

اننا لنحس بفراغ هائل في حياتنا الادبية من جراء عدم وجود الناقد الاصيل الذي يملك الاحاطة الوافية بأصول النقد ومناهجه ويظل عامل بناء وتقويم يضيء الدروب ويشعل الشموع ليغمر شعاعها كل طريق ٠

العقاد ، فقيد الأدب والمعرفة

كان لوفاة الاستاذ الكبير والمفكر الشهير عباس محمود العقاد أصداء عميقة في شتى الاوساط الفكرية والعلمية والصحفية ·· فتناقلت خبر وفاته بكل لوعة وأسى وامتعاض ·· فالعقاد قطب من أقطاب الادب ، ورائد من رواد الفكر ، تتلمذ على يديه الكثيرون ·· وكان لمدرسته الفكرية سمات بارزة ·· وطابع محدد ·· لقد كان بيته مزارا لرجال الفكر والعلم والادب يصغون الى حديثه ، ويرهفون أسماعهم لبيانه ·· ومنطقه العلمي البليغ. وكانت ندوته الاسبوعية تتجلى فيها آيات الفكر المخصب والعلم الرصين ·· فهي تضم فئات متعددة من مختلف الاتجاهات الادبية ، والسياسية ·· والصحفية ·· يتدارسون عليه ألوانا من الآداب والمعارف ·· ونماذج من الفكر والفنون ·· فيرتشفون من المورد الصافي والمنهل الذي لاينضب ·· فكان كالمنارة الشاهقة والمشعل الوهاج يضيء للسالكين دروب الطريق ··

لقد كانت مدرسته ذات أثر بارز في تطوير الثقافة العربية والمذاهب الفكرية الحديثة وجعلها مسايرة للثقافة الاوربية ··

ناهيك بما له من مواهب أدبية وعلمية رفيعة ·· وتلك المواهب التي رفعته الى السماك الاعلى ،فقد شهد له نقاد من العرب بأنه أحد المفكرين الافذاذ ·

لقد كان يمتاز بعبقرية فذة وقلم جبار جمع بين الاصالة والعمق ومبلغ العنف حين ينبري لمن يدخل في مساجلته ، ولهذا كان يخشاه الكثيرون ·

ولقد خاض معارك أدبية حول بعض المفاهيم الفكرية مع من كان يختلف معهم في الرأي من الادباء والشعراء والمفكرين .. ولعل أبلغها عنفا وأشدها ضراوة ماجرى بينه وبين الاستاذ المرحوم مصطفى صادق الرافعي من مساجلة وخصومة استمرت فترة طويلة ، وكانت تدور تلك المعارك الادبية على صفحات الصحف والمجلات المصرية والعربية كالهلال والجهاد والبلاغ والرسالة والسياسة وغيرهما ..

كما ان العراك الادبي أخذ بينه وبين الدكتور طه حسين أمدا طويلا انتهى بمبايعة الدكتور طه حسين له بامارة الشعر ولقد تراجع الدكتور طه أخيرا قائلا : (ليس من حقي أن أبايع العقاد بامارة الشعر وأنا لم أكن شاعرا) .

لقد تعرض العقاد في نقده لكبار الشعراء أمثال شوقي ومطران وغيرهما مما أثار ضجة حوله في مختلف الاوساط في ذلك الوقت .. وحمل بعنف على كل دعوة تحررية في الشعر ..

لقد كان العقاد ناقدا عميقا ، وكاتبا بارعا ، وقاصا مؤثرا ، وشاعرا شاديا ، وفيلسوفا واعيا .. فهو من الاعمدة المتينة التي أسهمت في تطوير مفاهيم الادب العربي المعاصر ودفعت عجلته الفكرية خطوات الى الامام ، فخلف تراثا فكريا رائعا له أهميته ، فقد عاش منقطعا للعلم مكبا على المعرفة سابرا لاغوار الفكر وأعماق الثقافة .. وبذلك كان له في البحث منهج مستقل واتجاه عميق في تحليل الشخصيات التي يتصدى لدراستها واستيعابها مما جعل منه نموذجا حيا للاديب الانساني ، والمفكر المثالي ، والعالم الممتلىء ...

فكان نابغة من أعظم النوابغ ملأ الاسماع بما أبدع وخلد من

روائع البيان ٠٠ كما امتـــاز بغزارة الانتـــاج ووفرته ، وكثرة المؤلفات في مختلف فنون المعرفة التي بلغت الثمانين ونيفا ٠٠

لقد خفت صوت من أقوى الاصوات وأجهرها ، واختفى قلم كان بالامس مؤثرا ورفيعا فعزاء لقراء الضاد ولـــكن آثاره ستبقى قبسا مضيئا ٠٠

دور الشعر وتأثيره

لقد كان الشعر أسبق أنواع الأدب وأكثرها بروزا وتألقا حيث اعتبر في قمة الفنون فقد كان مرآة لحياة العرب وديوانا يجسم كل ما قد يجول فى خواطرهم وما تختلج به مشاعرهم وتفيض به نفوسهم .. يسجل الأحوال والحروب والعادات والتقاليد والأيام والوقائع فأتوا بالعجب العجاب اذ كان عاملا مهما في اثارة الحماس وايقاظ الهمم وشحذ العزائم وحث النفوس على معاني النبل والوفاء والشهامة والتضحية والفداء فيأخذ بمجامع القلوب ويستهوي الأفئدة ...

ولقد كان العرب يتنافسون في ذلك وكان قادتهم وكبارهم يبالغون في اكرام الشعراء ويغدقون عليهم العطاء ، فكانت كل قبيلة تهتم بأن يكون لها شاعر لأنه يسجل مآثرها ويعدد مناقبها ويعلي قدرها ويشيد ببطولاتها اذ بشعره يعمل على تقوية جأش أمته اذ يدفعها الى الاقدام والبطولة والثبات فكان كما يقال قديما « يرفع أمة ويخفض أخرى » .. وكانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر جاءت القبائل تبارك لها في ذلك وتهنؤها وتقيم الموائد وتطعم الطعام وتتباشر به في الحي لانه يذب عن حياضها ويدافع عن شرفها واسمها ويخلد مفاخرها ويشيد بذكرها في الأوساط والمواقف والمحافل ويجسد مالها من مكرمات ويجعل أمته أكثر صبرا وثباتا في النائبات فهم الأوتار القوية يدفعون بشعرهم ويشجون بترنيماتهم وكان شعر الشاعر يسري مسرى

البرق ويخالط القلوب ويؤثر في النفوس ، فهذا عمرو بن كلثوم التغلبي رفع رأس أمته وأعلى شان قومه بماله من قصائد وأشعار مما يدل على قدرة بارعة فكان سيد قومه ، تنـاقل معلقته الرواة والشعراء ورددتها بنو تغلب في المحافل والمجامع وأنشـدتها في المعارك وساحات الحروب وكذا الأعشى رفع بشعره أعرابيا خامل الذكر غير معروف في قومه ولا في القبائل ولما أثنى عليه الأعشى بقصيدته الشهيرة نبه ذكره وارتفع شأنه وعلت قيمته ، ولقـد كان أبا لسبع بنات عوانس صـد في الاول عن خطبتهن الرجال ولما قال الأعشى قصيدته أقبل عليهن أشراف القوم وكرام النسب يطلبون أيديهن ·· وهـذا الشاعر عنترة بن شـداد العبسي كان شعره شرارة يطلقها وصرخة داوية في قومه تزيدهم بطولة واستبسالا ···

ولقد كان لجرير والفرزدق صولات وجولات في دنيا المفاخرة والهجاء وكذا الأخطل في هجائه لبعض القبائل ·

وهذا الحطيئة كانت له قدرة بارعة في المدح والهجاء فلقـد هجا الزبرقان بن بدر عامل الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأسلوب خفي بارع وراح يمدح بني أنف الناقة الذين لم يكونوا ذوي ذكر أو نباهة فارتفع شأنهم في القبائل ··

وهذا أبو الطيب المتنبي والبحتري وأبو تمـام وأبو العـلاء المعري وابن الرومي وغيرهم ممن تملكوا ناصـية القول فعذب بيانهم وصار ذا تأثير واهتمام وخشية ولقد قيل :

ولولا خـلال سنها الشـعر ما دوى
بناة المعـالي كيف تبنى المـكارم

وفي أدبنا المعاصر كان للشعراء دور بارز وتأثير بالغ فقـد

كان لشوقي والبارودي أشعار حماسية رائعة وكذا أبو القاسم الشابي والرصافي وعلي محمود طه وغيرهم كثير ممن جاءت لهم أشعار رائعة تدل على حس صادق وروح قوية فكانت أشعارهم دافعا قويا للمحاربين في ساحات القتال وسجلت أشعارهم الأحداث وعاش شعرهم في النفوس ، وما أجمل ما قيل :

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه

فليس حريا أن يقال له شعر

ومن هذا المنطلق يتبين لنا دور الشعر وأهميته قديما وحديثا ومشاركته في شتى جوانب الحياة ، وما أسداه من خدمات جلى في مختلف الميادين ..

حوار أدبي

في حوار مع نفسي آسائلها بعد قراءتي لبعض القصائد المنشورة التي يطلق عليها أصحابها شعرا ... وكم حاولت أكثر من مرة فهم المضمون واذا بي صفر اليدين ، وسألت نفسي ربما ان عدم تذوقي لهذا اللون من الشعر هو السبب في ذلك فكم مرة حاولت ان أجد من نفسي قابلية وتقبلا وهضما لما يسطره وينسجه أولئك ولكن هيهات ... فلعلي لا زلت مرتبطا ومتأثرا بما كنت أحفظه قديما ايام الدراسة بذلك التعريف الواقعي للشعر وهو ، اي الشعر ، هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة ، وقد كنا نلتزم بحفظ القصائد الشعرية العديدة التي تمتاز بالروعة والنصاعة والجزالة والبلاغة الى جانب المعلقات السبع المعروفة فكنا نحس بأننا نقرأ شعرا ممتازا حقا يهز ضمائرنا ويحرك مشاعرنا ويستأثر بقلوبنا الى جانب ما نحس به من متعة أدبية ، فالشعر هو التعبير الاصيل المفعم بالعاطفة والخيال والشعور ...

وفي هذه الفترة الأخيرة نقرأ في جداول الصحف أشعارا يسميها أصحابها شعرا وهي ليست من الشعر في شيء بل هي مجرد كلمات باهتة الصورة ركيكة اللفظ متكلفة المعنى مما يدل على الامحال الفكري ـ أين هؤلاء الذين يأبون الا ان يقولوا شعرا وهو ليس من الشعر بشيء من حكمة ابن المقفع وهو من نعرف أديبا ضليعا واسع المعرفة والثقافة فقد سئل ذات مرة لم لا تتعاطى

قول الشعر فقال الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه « ويقول الاستاذ الشاعر كامل الشناوي في ذلك » لقـــد حررت اشعاري وأخضعتها للقواعد وعندي أن القيود هي نظم القصيدة من بحر وقافية واحدة والحرص على تساوي عدد التفعيلات في كل بيت من أبيات القصيدة أما القواعد فهي الوزن والايقاع اللفظى والايقاع المعنوي • وقد حرصت على هـذه القواعد لأنها الجوهر الصحيح لفن الشعر والشعر اذا لم يهز قلبـك وذهنك فهو ليس شعرا • ولا يكفي أن ينبض فيك الشعر الذي تقـوله بل يجب أن ينتقل نبضه الى قلوب الآخرين •

والشعر رقصة عاطفية ،ولا بد للرقصة من موسيقى تصاحبها • وتقودها والا صارت خطوات ملتوية •

حقا فالشعر ما أخذ بمجامع القلب وملأ شغاف النفس وهـز المشاعر ••• وحرك الوجدان • وصور الحياة ••• وليس معنى هذا أني أنتقد الشـــعر الحر برمته ولكن أنتقـد أولئك الذين أصبحوا يتطفلون على مائدة الشـــعر ويشرد خيالهم عن المعنى الذي يريدون أو بعبـــاره أدق يظلون حـائرين بين ما يريدون التعبير عنه ••• ونتيجة ذلك يظل القـارىء معهم حائرا •••• ويخرج بدون نتيجة •

وما أصدق قول الأديب النابغـة المرحوم مصطفى صـــادق الرافعي حين يقول (اذا لم يستطع الشـــاعر أن يأتي في نظمه بالروي المونق والنسج المتلائم والحبك المستوي والمعاني الجيـدة التي تخلص الى النفس خلوص طبيعة تمازجها ورأيته يأتي بالشعر الجافي الغليظ والألفاظ المستوخمة الرديئة والقافية القلقة النافلة والمجازات المتفاوتة المضطربة والاستعارات البعيدة المسوخـــة

فاعلم أنه رجل قد باعده الله من الشعر وابتلاه مع ذلك بزيغ الطبيعة وسوف التقليد) ...

الجائزة الأدبية وفعاليتها

دأبت معظم المؤسسات والهيئات العلمية وسواها من الأفراد على تخصيص جوائز في مختلف فنون المعرفة وهذا لعمري عمل خلاق ... ووعي رائع يدفع بالطاقات الفكرية ويحدوها الى العمل والانتاج والابداع مما يكون له أثره وفعاليته في حقل المواهب ... كما تشترك في ذلك المحافل الأدبية والمجامع الثقافية في محاولة الانتفاع من وراء ذلك الى جانب أن البحث أو القصة أو الموضوع أيا كان الذي يظفر بالجائزة يسارع القراء الى ابتياعه وبذلك يجنى الأديب أو المفكر ربحا ماديا ومعنويا والقارىء يستفيد من ذلك ثقافيا ...

وجائزة غانكور التي نسمع عنها كل عام كما نسمع عن مثيلاتها كجائزة نوبل للسلام وغير ذلك من الجوائز المتعددة .. وهي نسبة الى الادبيين الشقيقين ادمون وغانكور . فقد اتجها الى الاهتمام بالأمور الادبية وأنتجا عدة مؤلفات وقصصا عديدة وبعد موت غانكور استمر شقيقه في الانتاج القصصي .. وحصل على ثروة مادية قرر بعدها ايجاد ارث أدبي ثابت وذلك بكتابة وصية قال فيها « انه انما ينفذ آراء شقيقه المتوفي وهذه الوصية تتضمن تأسيس جمعية أدبية تحمل اسم « غانكور » وتتكون هذه الجمعية من عشرة أدباء يتناولون من واردات الوصية مبلغا من المال وتنحصر مهمتهم بمطالعة القصص التي يدفعها مؤلفوها لهذه الجمعية فيقررون القصة التي تمنح بموجبها جائزة غانكور

الى جانب تخصيص حفلة غداء لأعضاء الجمعية في أحـــد مطاعم باريس الشهيرة على أن يكون مجرى الحديث مقتصرا على القصـــة أو القصص التي تمكنوا من مطالعتها وتقرير القصة التي ستنال الجائزة ... ولا يزال هذا التقليد جاريا حتى الآن والطريف أن قانون هذه الجمعية يحتم عدم وجود الخطب بل يوصي أن تركز الاهتمامات في النظر الى ما يقدم من قصص ومنذ ستين عاما وهي باقية تمنح الجوائز .. وتقيم الموائد وقد حصل على هذه الجائزة السنوية عدد كبير من الأدباء والمفكرين ..

لا أريد أن استطرد أكثر من ذلك وانما يهمني أن نتأسى بمثل هذه الأعمال ويهب أصحاب اليسار وسواهم من الأفراد والهيئات الشعبية والحكومية الى تخصيص جوائز تقديرية تدفع بأصـــحاب المواهب والكفاءات الى مضـــاعفة الجهد وبذل المزيد من البحث والتنقيب والمعرفة في شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والعلمية ... ففي ذلك رفع للمستوى الفكري والانتاج المثمر الرفيـــع . نريد أن نسمع من يخصص جائزة للشعر وآخر للقصة والرواية وآخر لأي بحث من شأنه احياء تراثنا الثقافي ..

بذلك ندفـــع كل مفـــكر ... وأديب ... وقاص ... وشاعر ...الى الابداع والابتكار فيما هو نافعوفعال ومثمر ...

ولقد قرأت مؤخرا عن الجوائز الأدبية في لبنـــان فوجدتها بلغت نسبة كبيرة منها السنوي والدوري والشهري وكذا في كثير من البلاد . وعسى أن نلمس مبادرة سريعة من مختلف المستويات الحكومية والشعبية الى تخصيص جوائز ادبية (١) ففى ذلك حفز

(١) لقد قامت وزارة المعارف بتخصيص جو ائز مالية فى مسابقة عن الاعـلام الثلاثة : « ابن تيمية » ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب وابن القيم الجوزيه رحمهم الله تعالى ، كان لها أثرها وفعاليتها .

واغراء ودعم للنشاط الأدبي واسهام في دفع عجلة الحركة الثقافية في هذه البلاد ... التي كانت بالأمس موئلا للفكر وموطنا للشعراء والأدباء الأفذاذ وأملي كبير في أن تجد هـذه الدعوة تجاوبا ... ويتجسم هذا الحلم الذهبي الجميل ...

تاثير البيـــان

كان للعرب قديما افتنان بالبيان واهتمام خاص باختيـــار أسلوب القول وانتخاب العبارة المجودة وافتخارهم بذلك ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى ·

وذي خطل في القـــول يحسب أنه مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غـــيره وأعرضت عنه فهو باد مقاتله

فكانت لهم أسواق مشهورة ومعـــروفة يلتقون في رحابهـــا ويجتمع فيها الحكماء والشعراء والخطباء ويدور فيها القول الجزل والبيان الرفيع والشعر البليغ ويتناظر الشعراء فيها ويتفنون في القول ويتبارون في الشعر والخطابه ويهتم كل منهم بتنقيح شعره وتجويده وتهذيب قوله وجعله مؤثرا ويقول أحد الشـــعراء في الدلالة على الاهتمام بذلك (اني والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائت المحكك وصدق الله العظيم حين قال (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقال الرسول العظيم عليه الصلاة والســـلام (ان من البيان لسحرا) وللجاحظ في كتابه البيان والتبيين تعريف واشارة الى أهمية البيان حيث يقول :ـ

(والبيان اسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتـــك

محصوله كائنا ما كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر القصـــد الذي يجري اليه القائل والســـامع انما هو الفهم والافهام فبأي شيء

بلغت الأفهام واوضـــحت عن المعنى فذلك هو البيـــان في ذلك الموضع ٠)

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي ما البيان فقال أن يحيط لفظك بمعناك ويكشف عن مغزاك ويكون سليما من التكلف بعيـدا عن الصنعة ٠ بريئا من التعقيد غنيا عن التأويل ٠

ولقد مرت فترات مختلفة في العصور العربيـة المتعددة كان يرتفع فيها البيان مرة وينخفض أخرى ٠

ولعلماء البيان تقسيمات مفصلة في ذلك وجولات في هـــذا الميدان وخصوا ذلك بمزيد من اهتمامهم وجعلوهم طبقات متنوعة ومتفاوتة حسب حالة كل عصر وما كان يمتاز به من تبريز في البيان وثراء في الانتاج الفكري فاتسم كل عصر بسمات معينة ومـلامح محددة حسب حالة كل عصر وطبقة وما كانت تتدرج فيه من بساطة وتعقيد وقوة أو ضعف ٠

ولقد امتدحوا في نصوصهم وكتبهم تلك العصـــور الذهبية الزاهية بأعلام البيان وبراعتهم وجودة قولهم ودقة أحـــكامهم وتفننهم في ضروب القول وتحبير الكلم ٠

ولقد عنى كثيرا الجاحظ أستاذ البيان بمناقشة ذلك وتوضيح اراء أصحاب البيان وعرض المحاسن والمساوىء ولقد خلف هـو وغيره من البحوث والرسائل والكتب ما يدل على الجهود الجبـارة التي بذلوها والتقصي العميق والغوص الدقيق في دخائل البيـان والمعرفة ٠٠٠

فتركوا لنا تراثا ضخما رائعا يدل على حصافة مؤلفيه ولا يزال ذخرا نفيسا يعتز به حقا ان البيان لعنوان من عناوين الحضـارة ومظهر من مظاهر المدنية ولو تتبعنا حالة كل عصر لوجـدنا ذلك

واضحا ففي العصور التي تزدهر فيها الأمة وتبلغ شأوا رفيعا في حياتها نجد أن البيان يرتفع ويسموا والعكس في ذلك حيث ينطوي ذلك وتقفر سوقه وما أصدق ما قيل قديما (ان اللها تفتح اللها)٠٠

وكلما كانت الأمة على قدر كبير من المعرفة وحظ من الوعي والثقافة قدرت البيان وآثرته وعافت سواء ٠٠٠٠

أهمية الكتاب ومتعة القراءة

الكتاب عنصر رئيسي في عملية التكوين العلمي والثقافي · فهو الذي يمتاز بخصائص المعرفة ويعكس صورا من ألوان الحياة ويعرض الثقافة وينمي المدارك والعقول ··

كثير من الناس لا يعني بالكتاب ولا يهتم به فهو يلقي بصره متعجلا دون أن ينعم النظر أو يتعرف على ما وراء السطور أو يتعمق حقائق ما بين ثنايا الموضوع ··

وصنف آخر من الناس يفتن بالكتاب ويمجده ويرى أن له مكانة لا تدانيها أية مكانة ويندفع اليه ولا يعدل بالحصول عليه شيئا ·· يقرأه قراءة درس وامعان واستقصاء ويعكف على فصوله بدقة ويحفل بما يحويه من فائدة فهو يجد لذة ومتعة في متابعة القراءة والمضي بين دفتيه أشد مايكون اغتباطا وابتهاجا ·· والواقع أن الكتاب تاريخ حافل للأمم والشعوب فمن الكتب ما يتعرض للناحية الدينية والتاريخية وآخر للجوانب الفكرية والعلمية والاجتماعية والفلسفية والتربوية وعدا ذلك من صور الحياة المتباينة ··· وأطوارها المتفاوتة ··

ولعل خير من صور قيمة الكتاب وعدد فضائله ومحاسنه وجسم مزاياه ومناقبه ذلكم هو أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ والذي كان يعتبر في عصره موسوعة علمية لكثرة ما قرأ وأنتج ·

يقول الجاحظ :ـ

« الكتاب نعم الذخر والعقدة ، والجليس والعمـــدة ونعم النشرة والنزهة ونعم الأنيس ساعة الوحدة » ٠

والكتاب وعاء ملىء علما ، وظرف حشي ظرفا ، واناء شحن مزاحا ان شئت كان أعيا من باقل وان شئت كان ابلغ من ســحبان وائل ، وان شئت سرتك نوادره ، وشجعتك مواعظه الى أن يقول٠ وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن ، وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى وأكتم للسر ، وأحفظ للوديعة من صاحب الوديعة ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع من كتاب فلنحرص على قراءة الكتاب والاهتمام به ٠ ومحاولة الاستفادة منه ٠ وليكن شعورنا نحوه شعور محبة ومودة ونحاول أن نقرأ الكتاب قراءة واعية ٠ وبنفس متفتحة للمعرفة٠ سيما بعد آن تطورت طباعة الكتـــاب واخراجـه اخراجا مغريا ومشوقا ٠ ولقد قال المتنبىء مشيدا بدور الكتاب :ـ

أعز مكان في الدنا سرج ســابح وخير جليس في الزمان كتــاب

ويقول أحد الشعراء القدامي يصف متعته بالكتب وفوائدها:

هم مؤنســون وألاف غنيت بهم فليس لي في أنيس غيرهم أربـ
لله من جلســـاء لا جليســـهم ولا عشيرهم للســـوء مرتقب
لا بادرات الأذى تخشى رفيقهـم ولا يلاقيه منهم منطق درب ـ
أبقوا لنا حكما تبقي منافعهاـ أخرى الليالي على الأيام وانشعبوا

ويقول بعض الأدباء يصف حبه للكتاب وشغفه به :

هي أن خلوت لذتي وان اهتممت سلوتي وان قلت ان زهر البستان ونور الجنان يجلوان الأبصار ويمتعان بحسنهما الالحاظ

فان بستان الكتب يجلو العقل ويشحذ الذهن ويحيي القلب ·

لقد كان القدماء يتنافسون في اقتناء الكتب وقراءتها ·

ان الكتاب له فضل كبير وأثر عظيم وسيظل دائما موضع تقدير ومصدر فائدة ··

فالقراءة طريق المعرفة والمعرفة سبيل الى النضوج والنهوض والتقدم ··

وما أجمل ما قيل في ذلك : ـ

أنا من بدل بالكتب الصحابا ... لم أجد وافيا الا الكتابا
صاحب انعبته أو لم تعب ... ليس بالواجد للصاحب عابا
كلما اخلتته جد دنى ... وكساني من حلى الفضل ثيابا
صحبة لم أشك منها ريبة ... ووداد لم يكلفني عتابا
رب ليل لم تقصر فيه عن ... سمر طال على الصمت وطابا
كان من هم نهاري راحتي ... ونداماي ونقلي والشرابا
ان يجدني يتحدث أو يجد ... مللا يطوي الأحاديث اقتضابا
تجد الكتب على النقد كما ... تجد الاخوان صدقا وكذابا

فتخيرها كما تختارهم
وادخر في الصحب والكتب اللبابا
صالح الاخوان يبغيك التقى
ورشيد الكتب يبغيك الصوابا

حقا ان القراءة بمثابة الغذاء للجسد فلننتفع بما نقرأ ·

والله الموفق

أهمية حفظ الآثار

تهتم الأمم كثيرا بالمحـــافظة على آثارها والعنـاية بتراثها وصيانة ذلك من التمزق والضياع وحراسته من العبث والاندثار وذلك باقامـــة متـاحف لحفظ الآثار ورعايتها والقيـام عـلى شؤونها ...

والمتاحف مظهر حي يجسم أطوار التـــاريخ ويمثـل تاريخ الأسلاف فهي نبراس يضيء لمن يرغب في الاطلاع والمعرفة ويلم بأطوار الحياة ويعرف طبيعة تلك العصور الغابرة .

لذلك فلا غرو أن نلمس قريبا ان شاء الله في بلادنا الاهتمام باقامة متحف يضم أشتاتا وأنواعا لحياتنا الماضية من صـــناعات قديمة كالأواني والسيوف وآلات الحرب وغيرها وكذا المخطوطات المتناثرة لدى بعض المكتبـــات والأفراد وكذا التحف والألبسـة القديمة وكل ما يتصل بتراثنا الشعبي من أدوات وآلات وأزياء وكذا مختلف الأساليب المستعملة قديما في الري والزراعة والأثاث وادوات البناء وسروج الخيل والابل والالواح الكتابية القـديمة والأواني الفخارية والنحاسـية والمنسـوجات القديمة والأواني الحجرية .. وكل ما يتصل بالعادات والتقاليد وغـير ذلك مما لا يحضرني وهو كثير .. كما يوضع سجل لتنظيم ذلك وتصـنيفه حسب الأصول المتبعة في مثل ذلك ...

وأعتقد أنه متى تم جمع نماذج لذلك فسوف يتكون لدينـا متحف حافل يعطي صورة صادقة لماضينا وكما يقال من لا ماضي

له لا حاضر له ...

وسيكون ذلك مادة للبـــاحثين وموضعا لعنـــاية المؤرخين وعونا لكل مهتم بدراســـة التراث . وكثـــيرا ما يســـتضيء الدارسون والباحثون بأحوال الأمم قديما بتراثهـــا فهو تجســـيم لواقعها ...

والآثار كما يقال مقياس للتقدم الثقافي والاجتماعي للأمـــة ولقد أصبحت الجامعات تعنى بعلم الآثار ، وافتتحت أقســـاما تختص بهذا العلم وتهتم بدراسته ...

اني لآمل أن يكون ذلك اليوم الذي يتحقق فيه قيـــام متحف في بلادنا قريبا ان شاء الله وقديما قيل :

واذا لم تدر ما قـــوم مضـــوا فاسأل الآثار واستنب الديارا

لغتنـــا العريقة

عرفت اللغة العربية قديما وحديثا بأنها لغة غنية وعظيمة ، بلغت شأوا عظيما ومجدا عريقا ، ووسعت كل ما يحتـــاج اليه أبناؤها من معان ومصطلحات ومدلولات ، وصـــارت لغة الثقافة والمعرفة حقبة من الزمن حيث كانت الأمم تحـــرص على تعلمها وتتسابق في فهمها والتعرف عليها • واستطاعت أن تصمد قرونا طويلة أمام جحافل الغزو ومعاول الهدم من أعـــداء الدين ممن أرادوا تفتيتها وتمزيقها لأنها لغة القرآن الكريم والدين الاسلامي الحنيف ، فكان لها القوة والنصر والثبات •

ولعل ما أريد الاشارة اليه هو ما لاحظته من كثرة شـــيوع ووجود كلمات وألفاظ أجنبية أخذت تغزونا فأصبحنا نقرأ واجهات بعض المحلات التجارية ببعض التسميات الأجنبية ، وأصبح البعض يحاول أن يقحم بعض الكلمات الأجنبية خلال حديثه ، ومن الألفاظ والكلمات التي أصبحت تقرع أسماعنا باستمرار وعلى سبيل المثال لا الحصر « ديكور ، أوتيل ، فيللا ، ريل ، كنديشن ، روشـــتة ، فاتورة ، كازينو ، بوفيه ، بيك أب ، ستديو ، رستوران ، نيون ، تلفون ، انتريه الخ •• » •

ان الذي يجب أن نلاحظه هو أن نعمل على المحافظة على لغتنا وصيانتها من كل ما قد يعتورها أو يضعفها أو يقلل من أهميتهـــا وفعاليتها ، بل يجب الاهتمام بها وبقاؤها نقية صافية ، سليمـــة موفورة الكرامة ، عزيزة الجانب •

وقد يتساءل البعض قائلا ، لقـــد اصبخت تلك الكلمـات مستساغة نظرا لخفتها على اللسان وشهرة استعمالها ٠

ولكن يمكن الاجابة على ذلك بأن اللغة العربية قد حباها الله بالألفاظ العذبة والأسلوب البليغ والبيان الصافي مما يجعلها قادرة على استيعاب كل جديد ، ويجب الا تقف عاجـزة أمام المخترعات والابتكارات الجديدة ، فلقد كانت مرموقة عند أمم كثيرة وكانوا ينظرون اليها باعجاب ويقتبسون منها كثيرا ، فهي تحوي التعبـير الفني الجميل ٠

ان لغتنا هي موضع فخرنا واعتزازنا ، فهي لغـــة القرآن الكريم وكفى بذلك فخرا ٠ وكم فطنت ورددت قول حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية حين نعاها قائلا :

رجعت لنفسي فاتهمت حصـــاتي
ونـاديت قومي فاحتسبت حيـــاتي
رمـــوني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقـول عـــداتي
وسعت كتـــاب الله لفظـــا وغاية
وما ضـــقت عن آي به وعظـــات
فكيف أضيق اليـوم عن وصف آلة
وتنســـيق أســـماء لمخترعـــات
أرى كل يوم بالجـــرائد مزلقـــا
من القبر يدنيني بغـــير أنـــاة
أيهجرني قـــومي عفـــا الله عنهم
الى لغـة لم تتصل بـــراوة الخ ٠٠

من أهداف رسالة المعلم

رسالة المعلم ليست بالسهلة أو اليسيرة كما يتراءى للبعض أو يتوهم ذلك ، فللمعلم رسالة حيوية جليلة ، وغاية سامية ، فهو الموجه الأول ، والمكون للشخصية ، والمربي للنشء ، والذي يضيء سبل العلم والرشاد ، وهذه الميزات كافية متى كان الاخلاص رائده الأول لأن تجعل لرسالته مكانة وشانا فقد ألقى على عاتقه مسؤولية عظيمة ٠

والمعلم البارع هو الذي يقدر هذه المسؤولية ، ويؤدي تلك الرسالة بكل ايمان وصدق واخلاص ، ويحتمل ما يعرض له من ضروب المتاعب وشتى الخطوب ويواصل تبليغ هذه الرسالة تبليغا امينا دون توان أو تقصير أو اللامبالاة ٠ بل يجب أن يشعر أن حياته سلسلة من الجهاد المتصل والكفاح الدائم ٠٠٠

ولم تعد رسالة المعلم في هذا العصر محدودة ضيقة كما كانت في الماضي حين كان لا يمتلك الوسائل التربوية ، بل امتدت امتدادا واسعا وأصبحت متشعبة الزوايا ، ومختلفة الاتجاهات ، ومتعددة الأغراض ٠

فلم تعد رسالة المعلم تقتصر على مجرد تلقين المعلومات ، وتحفيظ الطلاب اياها بجفاف وقسوة وغلظة مما قد يكون مدعاة للتنفير عن الدراسة وتزهيدا في العلم وابعادا عنه وذلك ناتج عن عقم الوسائل التي يستعملها خلال تدريسه ٠٠

فمن عناصر نجاح المدرسة وتكاملها هو توفر المعلمين الاكفاء الذين يفهمون أصول التربية ، وطرائقها ، ويهتمون بشـــؤون التعليم ويسيرون في نهجهم على قواعد تربوية سليمة ويتعرفون على حقيقة مجتمعهم • وواقع بيئتهم التي يعيشون فيها ••

ولقد اصبحت التربيـــة عنصرا أساسـيا في حياة المدرسة الحديثة ، وتطورت تبعا لذلك أســاليب التعليم وأصـــبح من مستلزمات المعلم الناجح قوة الشخصية وغزارة المادة والفصـاحة في النطق ، والاستقامة في التعبير ، والاهتمام بالتحضير والاعـداد للدرس وحفظ نظام الفصل وعرض الدرس في اطار تربوي شائق وتحليل الدرس تحليلا دقيقا بحيث يجذب طلابه ، ويشـوقهم الى المادة التي يقوم بعرضها أمامهم ويعمل على توطيد الصلة الوثيقة بينه وبين طلابه ليكفل الانسجام والتعاون ••

كل هذه العوامل اذا توافرت في المعلم كانت من مقومات نجاحه في التدريس فهي تتيح للطالب فرصة التحصـــيل العلمي والولع بالمعرفة والشوق للدراســـة والرغبة في الادراك لأنه يحـــرص على توجيههم وفق تخطيطـــات تربوية ، ويشـــعرهم بقيمـــة العلم الذي يتلقونه حتى يحسوا بذلك احساسا حقيقيا ، ويتعرف على أفكار طلابه ورغباتهم حتى يتأتى للطلبة التفاعل مـع الجو الدراسي فهذا مما يدعم الروابط بين التلاميذ ، ويوجد التكافل والانسجام ويبعث الأمل في نفوسهم ، ويعمل على تبـــديد القلق النفسي الذي قد يعتري أفرادا منهم فيخلق الثقة في نفوســـهم . ويغرس فيها معاني الايمـان والثبات والتفاؤل ويوقظ كوامن النفس والوجدان ونوازع الطموح ، ويذكي فيهم جذوة الحماس والشعور •

وعلى المعلم أن يستعين بوسائل الايضاح التي تقرب المعـاني

الى النفوس ، وتبسيط المعلومات ، وتوضيح كل غموض والتباس وكل ما يزيد الطالب وعيـــا وخبرة ومهـارة ، ويتعرف عـــلى الوسائل الفعالة لتنمية الاستعدادات الموجودة لدى طلابه ، وتربية ملكاتهم ومواهبهم وتوسيع آفاقهم لكي يزداد رصـــيدهم العلمي ومحصولهم الثقافي ويجعلهم ذوي مقدرة واستعداد ويعود طلابه على حب المناقشة ومحاربة الخجل والاضطراب النفسي من نفوســهم ويحاول توجيههم على ضوء ما يراه ملائما وموافقا ، ويتغلب على الصعوبات التي يصادفها المعلم عادة أثناء تأدية هذا الواجب المقدس فيسعى دوما الى ما ينمي ميول طلابه بما يتلاءم مع مســـتوياتهم العقلية والفكرية ، ويتحاشى كل لفظ ناب ، وكلام مستهجن لأنه لا يليق بالموجه أن يتصف بذلك بل يكون قدوة حســـنة وعنوانا فاضلا كريما ليظل مثلا يحتذى به ٠

ولعل من أوجب واجبات المعلم الفاهم لرسالته أن يرشد طلابه الى مواطن ضعفهم بطريقة مرنة وأسلوب تربوي لبق ، دون تأنيب أو تقريع أو ضيق بذلك لئلا يحدث عند تلميذه رد فعل عكسي أو يصاب بصدمة نفسية وملل ــ وهذا فيه ما فيه من مساوىء تعـود بالضرر البالغ والمصيبة الفادحة على الطالب في مستقبله ، فقـــد يعتزل الدراسة ــ ويضيع سني حياته الدراسية فمن الافضل سلوك الطريقة التربوية التي تؤدي الغرض وتحدد موضع الخطأ وترفع في الوقت ذاته من معنوية الطالب وتعلي نفسيته ، وتشير الى نواحي التقصير دون أن يحس أن في ذلك جرحا لعاطفته أو مساسا به وبذلك تتلاشى كل عوامل القلق من نفسه ويتجاوب تجاوبا حقيقيا مـع معلمه ويتعاون على تلافي كل تقصير ونقص أرشد اليه معلمه حتى ينتج عن ذلك الضعف قوة ، ويخلف التقصـــير اهتماما وحرصا ويصبح قادرا بعد ذلك تدريجيا ويظل شديد الاقبال والتجاوب ٠

وعلى المعلم أن تتجه عنايته واهتمامه الى جعل المدرسة مكانا صالحا، وحقلا منتجا ومثمرا حتى يكون لرسالته أثرا وهدفا واضحا ٠

كما أنه من مستلزمات المعلم المشـــاركة في أوجه النشـاط المدرسي والمسـاهمة في توجيه الطلاب حيـاله توجيها سـديدا وايقافهم على ألوان شتى من سروبه ودفعهم الى ممارسة ذلك حسب اتجاههم ووفق ميولهم وما يتلاءم مع استعداداتهم حتى يكسـبوا خبرة ومرانا ووعيا ٠٠٠

وحتى يخرج جيلا مدعما بالوعي ومتشـبعا بروح المعرفة ، يكون دعامة قوية وعاملا مكينا في بناء الوطن ٠ واعيا لرسـالته ومدركا لأهـدافه وطلاعا الى بلوغ الغـايات ومدارج التطور والنهوض حتى اذا ما واجه الحياة العملية كان متسلحـا بالمعرفة والادراك وأصبح قادرا على مجابهتها ، وخوض معامعها ، وارتياد صعابها بكل شجاعة وثقة وقوة ٠٠٠

ومجمع القول فان وظيفة المعلم قد تطورت وأصبحت تنطوي على غايات ومقاصد سامية واتجهت نحو الامتداد والاتساع في اطار واضح المعالم ٠

هذا تحديد مقتضب وملامح تومىء الى جزء من أجزاء رسالة المعلم الشاملة ومن أجل ذلك حرصت وزارة المعـارف على رسم مخطط يتلاءم مع مقومات التربية الحديثة ويرمي الى ايجاد معلمين أكفاء مزودين بمختلف الخبرات ، ويسايرون مقتضيات التعليـم الحديث والتطور التربوي ٠٠

ولا شك أن هذه الوثبات الحية التي تثبها وزارة المعـارف شاهد على حرصها ، على ارساء قواعد التعليم وسد حاجة البلاد ٠ وليس ريب في أن ذلك له أثره البـالغ في اقامة حياتنا العلميـة على أسس سليمة ، وقواعد راسخة ، وخطوات موفقـة حقق الله الآمال ٠

المدرسة والمنزل ورسالتهما التربوية

والمدرسة أداة هامة من أدوات التوجيه التربوي ، فهي حجر الدارسون في كنفها مختلف أساليب التعليم وضروب المعرفة ووسائل الثقافة ..

والمدرسة أداة هامة من أدوات التوجيه التربوي ، فهي حجر الزاوية والقاعدة الكبيرة في عملية البناء ، والمكان الأول للاعداد والتكوين ، بل هي المعين الذي يتزود منه طلاب العلم والمعرفة ، والمدرسة من أقوى الوسائل التوجيهية تأثيرا ، بل هي أكثرها فعالية ، فعلى المدرسة ويتمثل ذلك في أسرتها أن تحاول ما أمكن بذل مزيد من الجهد والاخلاص لرسالتها ، فهي تضطلع بوظائف متنوعة حيث تعمل على خلق روح المحبة والمودة في نفوس طلابها وغرس المعاني الكريمة والعقيدة الدينية الراسخة وتهذيب النشء نفسيا وروحيا بما يتفق والأهداف السامية والمثل العليا التي دعت اليها الشريعة الاسلامية لكي تظل نموذجا رفيعا ومثالا حسنا ،وعلى قواعد سليمة من السلوك والآداب العامة ..

كما ان المنزل مطلوب منه أن يتبوأ مكانه في عملية التربية والتهذيب والاصلاح بحيث يكون دعامة للمدرسة فلا يبتعد عنها ويلقي المسؤولية كاملة عليها ..

ان التعاون بين الجانبين سيكون من شأنه تكوين المواطن الصالح وحل كثير من المشاكل وتحقيق مزيد من الأهداف التربوية ..

ان كثيرا من الآباء والأمهات كان لهم دور عظيم في التأثير على أبنائهم ، وحفزهم على الدأب والتحصـــيل العلمي ، ومواصـلة الدراسة • فبمتابعة الابن ومعرفة مدى جده واجتهاده ومحـاولة نصحه وارشاده وتوجيهه وجعله يستفيد من أوقات فراغه بطريقة ناجحة مثمرة وتنمية حب القراءة والمطالعة الحرة بما يتلاءم مـع استعداده الذهني ••

ان مسؤولية البيت لا تقل عن مسؤولية المدرسة • فلنحرص على تعويد أبنائنا بالعادات الحسنة والمحافظة على الأخلاق الكريمة. وشعائر الدين والاهتمام بها وتنبيههم عن كل أمر مشين وحمايتهم من كل انحراف وتجنيبهم المساوىء والعقد ••

كما أن توفير الجو المريح في داخل البيت سوف يساعد الابن على الاستقرار ويجعله يحرص على ملازمته ••

فلنعمل جاهدين على تمتين العلاقات بين المدرسـة والبيت ، ولنحرص على أن يكون التجاوب بينهما كامـــلا ومثمرا ومحققا للغايات التربوية والاجتماعية وتربيتهم على الفضـــائل والدين والصفات الخلقية الكريمة • وتبصيرهم بما عليهم من حقـوق وواجبات • حتى ينشأ عن ذلك جيل صالح متمسك بتراثه الاسلامي الخالد ••

أثر التدريب التربوي

ان لهذه الدورات التدريبية (١) أهمية بالغة لما لها من أثر تربوي عظيم في التوجيه العلمي ، والوعي الثقافي ، وتنمية الميول الفنية ، والمهارات المبدعة والوقوف على مصادر المعرفة ، وأصول العلم ، واوجه النشاط ، وطرق التدريس وفن ادارة المكتبات ، والبحوث ، والوسائل التعليمية ، والنظريات التربوية كل ذلك وفق تخطيطات فنية تجعل الدارس يزداد رصيده العلمي والثقافي والسلكي ٠

فحاول يا أخي المعلم أن تستفيد من كل دقيقة تمر بك ، واستثمر وقتك فيما يعود بالخير والفائدة فان لتنظيم الوقت أهمية عظمى ٠٠ واهتبل هذا الظرف المتاح والفرصة الغالية التي أتيحت لك من أجل التحصيل والمعرفة والاستيعاب لكل ما يعرض عليك من مختلف ألوان التوجيه وضروب الثقافة وأساليب التربية وأفانين العلم والتي سوف تزيدك قدرة ووعيا ، وتوقفك على الطرق الصالحة ، وتنمي ثروتك العلمية ومواهبك الفكرية وفق استعداداك وتشبع نهمك ورغبتك ، وتربي ملكاتك بالقدر الملائم لاستعدادك وتجنب الكسل والتهاون ، واجعل نصب عينيك المثل القائل « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » وألا تجعل للكسل أو السأم منفذا الى ذهنك فهو يميت الطموح ويضعف

---

(١) كانت تعقد بمدينة الطائف دورات صيفية تعليمية بغية توجيه المعلمين وتطوير معارفهم وتثقيفهم بالاساليب التربوية الحديثة ٠ تحت اشراف وزارة المعارف ٠

قوى الابداع ويستنزف الحيويات ·· بل ضاعف جهودك لتعود من هذه الدورة وانت مزود بمختلف الخبرات وتصبح قادرا على تفهم كثير من واجباتك التي تمكنك من أداء رسالتك على أتم وجه وأحسن حال ·· وتكون معلما تربويا قديرا يتأتى لك بناء جيل ينفع أمته ووطنه ، ولقد قال بعض كبار المربين (ان سعادة الأمم لا تتوقف على كثير دخلها ولا على قوة حصونها أو جمال مبانيها ، ولكنها تتوقف على عدد المثقفين من أبنائها وعلى رجال التربية والعلم والاخلاق فيها · فهنا تكون سعادتها وقوتها العظيمة ومقدرتها الحقة) ·

انه لقول يحمل بين ثناياه معنى ساميا وتوجيها بناءا فالتربية والتعليم هما الأساس المتين لسعادة الأمة ونهضتها ومعرفة واجباتها ، وتحقيق أهدافها ·

فبالتوجيه السليم تبلغ الشعوب آمالها ، وتصل الى ما تصبوا اليه من رفعة وتفوق في شتى المضامير ، وتسير مع موكب الحياة نحو الازدهار الحضاري ، والمجد العلمي السامق ·

هذه الدورات

لقد كانت تهدف وزارة المعارف من وراء اقامة دورات صيفية لتدريب معلمي المرحلة الابتدائية هدفا نبيلا ، وغرضا تربويا جليلا ولا سيما من فاتهم موكب التعليم الحديث ، ولم تمكنهم ظروفهم من مواصلة تعليمهم ..

ولقد كانت أول دورة تدريبية عقدت بمدينة الطائف عام ١٣٧٤ هـ ولا تزال مستمرة تلك الدورات يتضاعف انتاجها عاما بعد عام بفضل تشجيع الوزارة والجهود الجبارة التي تبذلها ..

ولا شك أن هذا المجهود له أهميته وأثره البالغ فلقد رسمت لهذه الدورات البرامج التدريبية والخطط النافعة المجديةفساهمت بذلك مساهمة عملية فعالة في توجيه معلمي المرحلة الابتدائية ودفعهم الى الامام والأخذ بيدهم الى المجالات الواسعة في ميادين التربية والتعليم وأتاحت لهم الاطلاع عن كثب على النظريات التربوية الحديثة ، واكسبتهم ألوانا من المعارف والعلوم وضروبا شتى من الخبرات والمهارات التربوية في معرفة طرق التدريس وأصوله وأطلعتهم على فنون مختلفة من الخبرات المفيدة للمربين .

ولقد حفلت برامج هذه الدورات بمزيد من العناية والرعاية وضمت بين ثناياها ألوانا شتى من التوجيهات المنهجية والفنية التي وضعت وفق تخطيطات تربوية بناءة وليدة اختبار وتجربة ونتيجة مران وخبرة كعلم النفس والتربية والمناقشات ـ والبحوث وفن ادارة المكتبات وطرائق التدريس لمختلف المواد وغير ذلك من

الدروس والوسائل الناجعه التي تدرس في هـذه الدورات والتي أصبحت عنصرا أساسيا فيحياة المدرسة الحديثة معالعناية بممارسة مختلف ألوان النشاط الاجتماعي والتربوي ، والثقافي ٠

فجاءت وافية بالغرض المنشود حيث عالجت نواحي النقص وعوامل الضعف وجعلت الدارس في هـذه الدورات ذا مقـدرة واستعداد وخبرة فشعر بالطمأنينة والرضى وارتفعت روحـه المعنوية والعلمية وتوسعت دائرة تفـكيره وقدراته واستعدادات وازداد محصوله الفكري والمهني والتربوي ولا شك ان رفعمستوى المدرس خطوة عملية في تطوير ورفع مستوى المدارس الابتدائيـة فهي الأساس الأول للتكوين والنمو فأتاحت هذه الدورات فرصـة التحصيل والتثقيف والاستنارة العقلية والاستعانةبالخبرات الفنية الحديثة في التعليم والوقوف على معرفة أنجـع الطرق السليمة في كيفية التدريس وطرائق الأداء والعرض ـ ووسـائله التربوية الصحيحة وكذا مشاكل المدرسة وفهم وسائل علاجها وبذلك قامت بدورها الايجابي خير قيام في حقـل مدارك الدارسـين وتهذيب نفسياتهم وتنوير أذهانهم وامـدادهم بفنون المهـارات فظفر الدارسون بنصيب متوافر من المعرفة والثقافة وعلاوة على ما لهذه الدورات من أثر تربوي كبير فهي عامل من عوامل بث روح التعاون والتعارف والتجاوب النفسي بين المعلمين وتوكيد معاني الأخـوة والانسجام والمحبة والائتـلاف وغرس تلك المعاني في نفوسـهم وتعزيزها بين حنايا قلوبهم ، وتفتيت جميع رواسب الاقليميـة واذابتها من نفوسهم ٠

فهذه الوفود المختلفة التي تفد من مناطق يبعد بعضـها عن بعض وتتباين في طباعها ونفسياتها ، وتتغاير في عاداتها وتقاليدها كلهم يلتقون على صعيد واحد في جو يسوده الصفاء ويظلله الوئام

والأخوة المتينة والهدف الموحد والعلاقة الطيبة ·· فهذه الصلات الحيوية الوثيقة لها أهميتها وشانها لأن التعـــاون والتعارف بين معلمي الجيل ، وحاملي مشاعل النهضة أمر له فعاليته فهم يجتمعون في هذه الدورات متجشمين السفر متـكلفين الاغتراب يدفعهم الى ذلك رغبة عارمة وطموح الى العلم ، وشغف وولع بالمعرفة وشوق الى معرفة بعضهم بعضا ·

فالاحتكاك والممارسة لهما اثرهما في تفهم طبائع الاشـــياء وادراك التجارب بواسطتها ·

ولقد لمس الكثير ارتفاع مستوى أولئك الافراد الذين أتيح لهم التدريب في حقل تلك الدورات فقد ـ ازدادوا مرونة وخبرة وساروا على ضـوء تلك التجارب خـــلال عودتهم الى مـــدارسهم وشرعوا في تطبيق ما درسوه عمليا وتمكنوا من الالمام بأعباء وظيفة التدريس وأدركوا عظم المسؤولية التي يضطلعون بها والملقاة على عواتقهم لكي يؤدوا رسالتهم المقدسة بكل عزم وقوة ورعاية وحتى يبنوا جيلا مدعما بالمعرفة والوعي والطموح ويوجهونه توجيهـا ايجابيا مثمرا حتى ينتج عن تلك التربية المبنية على القـــواعد العلمية والمرتكزة على الأسس التربوية ايجاد شباب ذي كفـــاءة واستعداد ومثالية في خلقه وسلوكه وآدابه ، ومعـــاملاته ونهجه وروحه وذي هدف وصاحب مبدأ ورسالة في الحياة يطمح نحـــو الرقي ويتطلع الى المجد متحليا بالعقيدة الصادقة والمبدأ الصحيح والمثل العالية والعزيمة والتصميم فيقوى على مواجهة المصـاعب وعواصف الأيام وأعاصير الزمان وتزيده الخطوب ثباتا وجدا · وتمتلىء نفسه بالآمال الكبار ولا يعرف معنى لليـأس أو القنوط ولا يجد السأم سبيلا الى قلبه أو منفذا الى وجدانه يتسم بالحيوية والنشاط وينبض بالحياة والشعور فيسير بقوة تلك القيم والآمال

الى حيث يتطلع ويطمح ويضيء لأمته وينطلق الى ارتياد آفاق العلم والفكر والابداع ليعيد لأمته مجدها العلمي المؤثل ..

وان هذا العمل والتشجيع من لدن المسؤولين في وزارة المعارف الذي يتجسم في رعاية هذه الدورات ـ ويتمثل في تعضيدها بكافة الامكانيات المادية والأدبية ليلقي ضوءا ساطعا على التفكير السليم والحرص الدائب وينطوي على الرغبة الصادقة والاهتمام المتزايد بتوجيه التعليم ورفع مستواه وجعله مسايرا للنظم والأساليب التعليمية الحديثة ، ومتمشيا مع التربية المعاصرة .

فلتمض هذه الوزارة موفقة في جهودها في تحقيق خطوات واسعة المدى بعيدة الأثر نحو الازدهار العلمي ومواكبة عجلة التطور حتى تبلغ أوج التقدم والنهوض ..

سدد الله خطى العاملين المخلصين ...

ضبط النفس

لا ريب أن الناس يتفاوتون في كثير من مزاياهم وفي أعمالهم وأقوالهم وبعد نظرهم ·· وينعكس ذلك في كثير من تصرفاتهم ومسلكهم الحياتي ·· اذ نرى البعض يتأثر لأدنى سبب وينزعج لأقل ما ينتابه · ويقلق لأتفه ما يساوره تجده يندب حظه · ويتبرم من ظروفه ونشاهد لونا آخر من الناس قوي الجنان ·حازم الرأي· ثابت النفس · يتمكن من السيطرة على قواه واخضاع نفسه وهواه لعقله ·

لذا فلا غرو اذا أفرط كثير من الرجال المجربين في الحث على ذلك وشدد علماء النفس على أهمية ضبط النفس اذ أن ذلك خير مقياس يقاس به الرجال في أوقات الرخاء والمحنة على حد سواء اذ يمكن معرفة الرجل وامتحانه في مثل ذلك ···

لذا ما أجدرنا أن نعود أنفسنا على الصبر ·والتحمل والثبات· وضبط النفس دائما أمام كل ما يعترضنا من صعاب وخطوب والعمل دائما على احتمال ما يصادفنا في حياتنا الاجتماعية والعملية من مشاكل · فان في الصبر شجاعة · وفي ضبط النفس في كثير من المواقف لحكمه وخير ، وكم كان لذلك من عقبى حميدة ونجاح في العمل وفوز في الحياة ··

والتاريخ حافل بالأمثلة والنماذج للرجال ذوي الشخصيات القوية الذين عرفوا كيف يواجهون الحياة ويبتسمون لها ويصبرون في البأساء والضراء ·· ويروى أنه سئل مرة الأحنف بن قيس

وقيل له ممن تعلمت الحلم ·· قال من قيس بن عاصم المنقري · رأيته قاعدا بفناء دارة محتبيا بحبائل سيفه يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له هذا ابن اخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه · ثم التفت الى ابن أخيه وقال له . يا ابن اخي أثمت بربك · ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابن له اخر قم يا بني فوار أخاك وحل أكتاف ابن عمك · وسق الى آمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة ·· وقال لقمان الحكيم ثلاثة لا تعرفهم الا عند ثلاثة · لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب · ولا تعرف أخاك الا اذا احتجت اليه · وقال أحد الحكماء : ان جل فضائل الانسان تظهر في الصبر وضبط النفس والحلم ··

وفي كتاب الله المبين دعوة واضحة صريحة ونداء الى ضبط الرجل نفسه دائما والتحلي بالخلق والأناة والعفو والاحسان ومن ذلك قول الله تعالى « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ·

ولا زلت أذكر لي صديقا كان مثالا للخلق المتين والحلم والصبر كان زملاؤه يسيئون اليه وينالون منه في حضوره وغيابه وكان يقابل ذلك بكل برود وهدوء نفس لدرجة أن بعض أصدقائه نكاية به وامتحانا لمدى صبره وتحمله عملوا له مقلبا مزعجا قابله بكظم غيظه وعدم سخطه أو شكواه وسئل ولم لا تجازي من أساء اليك فقال اني اتصرف حسبما أملكه وهم يتصرفون حسب ما يملكون ··

ولعل كثيرا من القراء لا يزال يذكر القصة التاريخية الشهيرة

التي كانت لابراهيم بن سليمان بن عبد الملك ـ واستضافته الرجل الذي يبحث عنه للانتقام منه والاخـذ بثأر أبيه ولقد اسـتجار به ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك وبقي لديه في منزله فترة من الزمن وكان عنده في كل ما يحبه ومن تكريم وحفـاوة وقد سأله ابراهيم ذات يوم قائلا : اني أراك تداوم على ركوب الخيـل كل يوم ففيم ذلك فقـال له : اني أبحث عن ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك كان قد قتل أبي ظلما وقد بلغني أنه مختف في الحـيرة فأنا أطلبه يوميا لعلي أجده فأدرك منه ثأري ·· وعنـدما أخبره ابراهيم باسـمه وطلب منه أن يأخـذ بثأره رفض قائلا : لن أخفر ذمتي وستلقى أبي عند حاكم عادل فيأخذ بثأره منـك ···

وما أكثر ما يحفل به التراث العربي والاسلامي من القصص والطرائف لنوع من الرجال كان حكيما وسـديدا وحازما يقدر الأشياء حق قدرها ·· ويتجنب المساوىء ويرجح جانب العقـل والمنطق دائما ··

فلنعمل دائما على أن نكون قدوة حسنة ومثـالا كريمـا في ضبط النفس وأن تتمثل روح الخـير والنبل والمحبـة في تصرفاتنا ··

والله الموفق والهادي ·

البيت وأثره في التربية

لقد تحدثت في حلقة سابقة عن دور المدرسة وما تقوم به من واجبات في سبيل تكوين المواطنين الصالحين واليوم سنتطرق الى جزء مكمل لذلك له أهميته وفعاليته ألا وهو المنزل فمطلوب منه أن يتبوأ مكانه في عملية التربية والتهذيب والاصلاح بل يكون دعامة للمدرسة فلا يبتعد عنها ويلقي مسؤولية ذلك عليها وحدها. فلا بد من التعاون بين الجانبين ، اذ التجاوب بين البيت والمدرسة أمر حيوي ينعكس أثره على الأبناء ويساعد كثيرا على حل المزيد من المشاكل وسيكون عاملا على تيسير سبل التحصيل والثقافة .. وتنمية المواهب والقابليات وتحقيق الاهداف المرجوة ان كثيرا من الآباء والامهات كان لهم دور كبير في حفز أبنائهم والتأثير عليهم في مضاعفة الجد والدأب على النشاط المثمر والمواظبة والطموح وخلق روح العزيمة والتوثب الى جانب الاهتمام بمتابعة الابن ومعرفة مدى تحصيله وادراكه ونصحه وارشاده مما كان ذا أثر وعاقبة حميدة .

لذا فانه يتأتى على البيت أن يحرص على تعويد الأبناء العادات الحسنة والمحافظة على المثل العليا والقيم النبيلة .

كما أن توفير الجو المريح للابن سوف يساعده كثيرا على المزيد من التحصيل والاستيعاب والطموح ... أجل أن للمنزل دورا مهما يلعبه في عملية التكوين والاعداد . فلنعمل جاهدين على تقوية علاقة البيت بالمدرسة ولنحرص على أن نجعل من بيوتنا

مكانا صالحا لابنائنا ومؤئلا نيرا يبصرهم بالخير ووسائله ويشـــع عليهم بنور التجارب النافعة المفيدة التي تكون سببا في تقويمهم وطبعهم على الفضائل والصفات الخلقيـــة الفاضـــــلة وتجنيبهم المساوىء والعقد •

العلم والمعرفة عند أسلافنا

لقد كان لأسلافنا نهضة علمية شامخة في ضروب العلم وأفانين المعرفة وكان لهم باع طويل في ذلك وشهرة واسعة ممتدة في ممارسة العلم والاشتغال به نتيجة وعيهم وادراكهم بما للعلم من منزلة سامقة وحاجة شديدة اليه ٠

فحفلت عواصمهم وغيرها من البلدان الاسلامية بالعلماء الأفذاذ وزخرت خزائن كتبهم بالبحوث والدراسات والرسائل والكتب الثمينة ٠

فقد كانت دمشق وقرطبة والقاهرة وبغداد دورا للعلم ومنتجعا لطلاب ورواد المعرفة وقاموا بترجمة العلوم المختلفة عن اليونان والهنود والفرس فأهدوا الى العلم أسخى العطايا وافلحوا في ارتياد آفاق المعرفة ولم يقتصروا على الآداب والعلوم النظرية بل تجاوزوا ذلك الى اقتحام ميدان العلوم الطبيعية والطب والهندسة والرياضيات ـ وأصبحوا نجوما لامعة وبلغوا في اتقانها والبراعة فيها حدا جعلهم قادرين على النجاح في ذلك فتسنموا ذروة المجد وارتقوا الى المراتب العليا وارتفع لواؤهم وسؤددهم وعلا شأنهم ونهضوا نهضة علمية هائلة وكان الأوربيون يأخذون ـ عنهم ويتلقون التعليم على يديهم وكانت مؤلفاتهم وكتبهم تترجم الى اللغات الأخرى رغبة في الاستفادة منها والأخذ عنها بما تحويه من بدائع المعرفة وروائع المعارف وذخائر العلم ٠٠٠

كانوا يتخصصون في دراسة العلوم والثقافة العربية والاسلامية ويبعثون بأبنائهم للدراسة والتزود من ذلك وصارت كتبهم لعدة قرون مراجع يعول عليها ومصادر للبحث والدراسة ٠

وممن برز من العلماء وهم كثير وعدوا عباقرة وعلماء أفذاذا في الطب والكيمياء والرياضة والعلوم كالخوارزمي وابن سيناء وابن الهيثم والكندي والبيروني وابن رشد والفارابي وغيرهم كثير ٠٠٠٠٠

فاعترف علماء الغرب بفضل عباقرة وعلماء العرب المسلمين على تقدمهم في العلوم وما ابتكروه من نظريات ــ وآراء وصلوا بها الى درجة عالية من المعرفة التجريبية وكانت أوروبة اذ ذاك جيسة الجهل والركود وموطن التأخر والجمود ٠٠٠ وليس صحيحا ما يقال في بعض كتب المستشرقين والمغرضين ممن يريدون أن يقللوا من قيمة تلك النشاطات العلمية العربية حيث يقولون (ان الحضارة العربية كانت نتيجة نقل وترجمة كتب الاغريق) لقد صحح العرب كثيرا من تلك الكتب وعملوا على تطويرها والاضافة اليها ولم يقفوا جامدين عليها أو ملتزمين بها ٠

فمآثر العلوم عند أسلافنا تؤلف وتكون صفحة رائعة في تاريخها ومجدها ولا تزال كثيرا من كتبهم ومؤلفاتهم دفينة في المخطوطات ان لم تكن قد امتدت اليها أيدي التتار وغيرهم ممن تسبب في ضياع وتدمير وحرق كنوز الثقافة العربية والاسلامية ٠

وعلى سبيل المثال فقد جاء في كتب الأدب أنه كان في طرابلس على عهد الفاطميين مكتبة تحتوي على ثلاثة ملايين مجلد أحرقها الافرنج عام ٥٠٢ هـ وأنه كان في خزائن العزيز بالله الفاطمي مليون وستمائة الف مجلد أغرقت في النيل وألقى جزء منها في

الصحراء وروي أنه كان بخزانة الحكم الثاني بقرطبة أربعمائة ألف مجلد منها أربعة وأربعون للفهرس وأنه قد دمر في ساحات غرناطة ثمانون الف مجلد ولقد أحرق التتار في بخارى وسمرقند مئات الآلاف وأغرق هولاكو مئات الآلاف ٠

لقد استطاع المسلمون خلال قرون طويلة أن يسيطروا بعلمهم وثقافتهم على الفكر الأوروبي ٠٠ ان في سيرة عظماء وعباقرة العلم من أسلافنا لتاريخا ناصعا ومجالا خصبا يدعو للتأمل والتفكير واذكاء الروح وهو ما يجب أن يعيه الجيل الجديد ويفتح عينيه عليه ليدرك أن أسلافه كان لهم التفوق والنبوغ في ميادين العلم ونواحي المعرفة حيث أبدعوا كثيرا وتركوا للأجيال من بعدهم نتاجا ثرا رائعا لا يزال مثار اكبار ومحل تقدير وموضع اهتمام ٠٠٠٠

العلم مثابرة

ليس الهدف من العلم والغاية من المعرفة أن يحصل المرء على شهادة فيظن أنه بلغ من العلم شأوا رفيعـــا • وحصل منـــه على ما يريد فمن كانت الشهادة هي مبتغاه وأمله لكي يحصل بهـا على وظيفة • وينتهي عند ذلك طموحه •• وتذوب آمـاله فقد ضـل الطريق •

يجب ألا تتجه نفوسنا فقط الى الظفر بالشهادة والمبـــاهاة بها ، وتتعلق بها أبصارنا ، فترضي كل رغباتنا • الشهادة ليست مقياسا دقيقا لمدى نضج الدارس ومبلغ تحصيله ••• وقدرته على مواجهة مشكلات الحياة وتغلبه على ذلك واعتماده على نفسه فيخرج الى الحياة وهو قادر على أن ينفع وطنه ، ويفيد أمته •

ولعمري ان العلم يحتاج الى صبر وتضحية ومثابرة ، ولـكي يتخطى المتعلم مراحل الدراسة لا بد له أن يبـــذل جهدا وعرقا واهتماما وأن يجعل نصب عينيه أن يقصـــد من طلبه العلم ذات العلم فلا تكون غايته الفوز بالوظيفة فقط ، وتجـــده يكدس محاضرات أساتذته وكتبه المقررة عليه فلا يوليها عناية أو اهتماما طوال الفصل الدراسي سوى أيام الامتحـــانات لأن الحصول على الشهادة والنجاح مرهون بجواز الامتحان •

فالتعليم يجب أن يدفع بالمتعلم الى الاستفادة من الوقت كاملا بحيث تنمو ملكاته ويتعود على طرائق البحث العلمي وحب النقاش وشجاعة الرأي والاعتماد على النفس ، وتثقيف العقل وجعـــله قادرا على التحليل والابتكار لأن ذلك يدفـع بالمتعلم الى أن يكون عضوا نافعا في بناء المجتمع •••

المجتمع الصالح

تحدثت في حلقة سابقة عن دور المدرسة والمنزل ورسالتهما في عملية التربية وأثر المنزل في التوجيه التربوي وأهمية التعاون والانسجام بينهما • واليوم نلقي ضوءا وتوضيحا لعنصر ثالث من العناصر وهو المجتمع الذي يعيش المرء في وسطه •

والمجتمع هو الدائرة الفسيحة الواسعة والتي يوجد بداخلها مزيج من ألوان الحياة وصورها المتعددة وأنماطها المتفاوتة •

فالمجتمع هو المثل الحي الذي توجد فيه القدوة الحسنة والأسرة الصالحة وتكوين المواطن الصالح الذي يحس بواجبه ويدرك دوره **في الحياة** •

وحيثما كان المجتمع صالحا وفاضلا يسير في طريق الخير والفضيلة والغايات النبيلة • كلما كان عونا ومثلا حسنا للجيل وحفزه الى التطلع نحو المعاني النبيلة والوصول الى الأهداف الكريمة والمحافظة على الاخلاق والدين ومحاربة المساوىء التي تولد في الأفراد كل صفة غير محمودة من أنانية وازدواج وانحراف عن طريق الدين والاستقامة ••

اننا يجب أن ندرك أن دور المجتمع والمنزل لا يقل عن دور المدرسة فهو حيوي هام اذ يترعرع الفرد بينهما ويشب بين جوانبهما متأثرا بالتقاليد والعادات •• منطبعا بالصفات التي يراها وألوان الحياة التي يشاهدها ••

ان المجتمع ذو تأثير في السلوك يستطيع بحكم التربية الفاضلة والتوجيه السليم أن يدفع الى التزام المثل الكريمة والأهـــداف الصالحة وكل ما يملأ القلوب صفاء ومحبة ووفاء وخيرا ..

فالطفل ينمو وهو متأثر بخصـــائص بيئته ومجتمعه يكسب بالمحاكاة والتلقين كثيرا من الأمور ويـكمن ذلك في وجدانه فهـو حريص دائما على تقليد والديه ومن حوله ممن يعايشهم في كثير من سلوكهم وتصرفاتهم ..

ان الأولاد بمثابة الودائع والأمانات فليحاول كل أب أن يختار لابنه النهج الحسن فان الاهمال يترتب عليه سوء وشر فمتى كان الأساس قويا كان البناء قويا كما يجب المســـاعدة على تقويمهم واصلاحهم وتهذيبهم وتقويمهم بالتزام المنطق والقول السديد . ولقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقـــوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » ..

كلما كان المجمع سليما وبعيدا عن كل انحراف وقول بذيء وألفاظ جارحة كلما كان الأبناء على جانب من الاستقامة ومنهاج الطريق السوي فعلي المجتمع أن يصوب اتجاهه نحو ضروب الخير والرعاية الكريمة ..

على أي حال فان المدرسة والمنزل والمجتمع كلهـــا تضـــطلع بوظائف عديدة في عملية التربية . ولا بد من العمل المتظافر فى تحقيق ما يهيء السعادة والتربية الحسنة والتوجيه الكريم واعداد الأبناء اعدادا سليما صالحا يقيهم كل سوء وضرر وتوجيههم نحو الخير والفضيلة والبر والاخاء .

في طريق المعرفة

لعل أكبر مقياس تقاس به الأمة ويعرف من ورائه مـــدى ادراكها ومبلغ وعيها ونضوجها هو ما أحرزته من التقدم العلمي وضربت في مجاله بسهم وافر واكتسبت من ورائه الفائدة والرقي في سائر مرافقها وشتى مجالاتها الحيوية وما أصوب قول من قال : اذا أردت أن تحكم على شعب من الشعوب فاسأل عن عدد معـاهده ومدارسه ومن ذلك تعرف أهو شعب متطور أم أنه شـعب لا زال الجهل يعيش بين أجوائه ويكفي هذا القول دلالة واضحة على قيمة التعليم وأثره ٠

فالتعليم هو الدعامـــة المتينة ، والثروة الضـخمة والحجر الأساسي في بناء الامة وتدعيم كيانها فبالوعي والتعليم تزدهـر البلاد وتنمو وتخط لنفسها الحياة المثلى والمستقبل الباسم السعيد وترسم أهدافها وآمالها التي تجيش في نفوسها وتؤمن بها أما الشعب الذي لم ينل حظا من التعليم تجده يتيه في دنيا الفوضى ويتخبط في عالم الظلام ٠

ان واجبنا يقتضي أن نوجه أبناءنا ونرعاهم رعاية علميـة وكذا من لم تهيء له ظروفه مواصلة التعليم عليه أن يتـدارك ما فات فالكبر لا يؤثر على الفرد متى أراد أن يتعلم وقديما قيـل من سعى الى شيء أدركه ٠ فلا يفت في عزيمتنا أو يوهن من قوتنا أو يقلل من اهتمامنا أن التعليم بالنسبة للكبير كالنقش على الماء وأنه لا يستطيع الدراسة والتحصيل ٠

فبالصبر ومضاعفة الجهود يصل الانسان مراده ولقـــد قال شاعرنا القديم :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومد من الفرع للابواب أن يلجـــا

ولا نبالي بما يصادفنا من صعوبات في سبيل التعليم فبالثقـة والايمان والتصميم نستطيع التغلب على ما يقف في طريقنا وألا نجعل للسأم أو الملل طريقا أو منفذا الى أذهاننا فلتكن صـــافية بصفاء العلم فالكسل والجمود يؤديان بالمرء الى الانحراف ويقتلان طموحه ويقضيان على الحماس المتأجج في نفسه فلتربطنا دائمـا بالعلم الأواصر القوية ــ والوشائج المتينة ٠

فنحن نعيش في عصر ملىء بالمنافسة العلمية والتطور المستمر فلنتحلى بالطموح والعزيمة المتوثبة ، ونربي عقولنـــا بالمعرفة ونتسلح بالعلم والوعي ونتزود بكل ما يفيـدنا ونولي ذلك كل العناية حتى يتسنى لنا محاربة الجهل ٠ ونستطيع اللحاق بالامم التى سارت خطوات فســـيحة في مضامير العلم والنهوض وحققت الانتصارات الرائعة فبهرت العالم بتطورها وعلمها حتى بلغت اوج الشهرة وذروة النهوض والتقدم وذلك بفضل الجد المتواصـــل والعمل المثمر ، والمثابرة الدائمة ، والاهتمام البالغ ٠

ان هذه الأمة خليقة بتحقيق ما أحرزه غيرنا وجـديرة بأن تتبوأ المكانة اللائقة بها كأمة ذات ماض حافل مشرق حسبها أنهـا أضاءت للعالم في فترات من الزمن دروب المعرفة وجادت بالكثير من علم ومدنية ٠

تعليم الفتـــاة

كان للخطوة المباركة بفتح مدارس للبنات أكبر البهجة وأعظم السرور لما لذلك من أثر وفائدة وتحقيقا لما قاله الرسول عليه السلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ٠

ولقد روى عن أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النساء للنبي ، غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسـك ووعدهم يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن ٠

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) ٠

فلقد جاء الاسلام منصفا للمرأة وحاميا لها ورافعا لمقامها بعد أن كانت تعيش في مذلة وهوان واحتقار ٠

والمرأة اذا تعلمت استطاعت أن تنهج نهجـا قويما وتربي أولادها على المعاني الكريمة والعادات الفاضلة والخلق السليم ٠

فهي حجر الأساس في الأسرة وقاعدة من قواعد البناء للمجتمع الصالح المتماسك اذ يتأثر الأبناء بأمهم دائمـا وينعكس ذلك في طباعهم وتصرفاتهم وأخلاقهم وميولهم ولكي تكون الأم ناجحـة وقادرة على أن تعطي وتفيد وتربي أسرتها على أساس قويم وأسلوب تربوي كريم وفهم مثالي سليم فلا بد أن تكون على قسط وافر من العلم والمعرفة وأن تتزود بكل ما ينفعها من ادارة للمنزل وشؤونه ورعاية للاسرة ومعرفة بواجباتها وتربية أولادها وتبصير بأمـور

دينها ودنياها ويقول الشاعر :

واذا النســـاء نشأن في أميـــة رضـــع الرجال جهالة وخمـــولا

فالمرأة متى تعلمت سوف تأخذ في توجيـه أولادها وتربيتهم على أساس من الادراك والنهج المثمر ·· فان للأم دورا رئيســيا في تربية الأبناء ، وفي ذلك يقول شوقي ممجدا دور الأم :

هـــذا رســـول الله لم ينقص حقوق الأمهـــات
العـــلم كان شريعـــة لنســـائه المتفقهـات
رضن التجـارة والسـيا سة والشؤون الأخـريات
ولقـــد عرفن بنـــاته لجج العـــلوم الزاخرات
كانت ســكينة تمـلا الد نيـــا وتهـــزأ بالرواة
روت الحـــديث وفسرت آي الكتـــاب البينـــات
وحضارة الاسـلام تنطق عن مـــكان المســـلمات
بغـــداد دار العـــلنا ت ومـنزل المتـــأدبات
ودمشـــق تحت أميـــة أم الجواري النـــابغات
ورياض أنـــدلس نمين الهاتفـات الشـاعرات

لقد حث الاسلام على تكوين الأم وتربيتها تربية صالحـــة سليمة للدور الحيوي الذي تقوم به حيـــال أسرتها وأولادها اذ صلاح الأمة يتم باقامـــة وتكوين الأسرة على أســـاس من الدين والأخلاق الكريمة والمعاني النبيلة ·

اننا نأمل أن يكون في تعليم المرأة عونا لها على اعداد الأسرة الصالحة وايجاد الأمهات الفضليات اللاتي يقـدمن لأوطانهن كل خير وبر ورفعة مما يتفق مـع طبيعة رسالتها ويحقق ســعادتها ويتلاءم مع طبيعة تكوينها والله الموفق ·

حسن الخلق

لقد أوضح الاسلام النهج الحسن للتعايش الكريم الذي يبعث على المحبة والأخوة والمودة بين أفراد الأمة وكل ما يوحي بالتقارب والترابط والوئام ..

ولعل من أجمل ما يجب أن يتحلى به المرء من الصفات الكريمة حسن الخلق .

ومتى كان أفراد المجتمع على جانب من حسن الخلق وكرم الشمائل صارت الأمة سعيدة هانئة تنعم بالحبور وتعيش في مودة وصفاء وفي ظل ظليل من الحب والوفاء وسمو الأخلاق وصفاء النفس وسماحتها .

ان لحسن الخلق فضائل متعددة ومناقب ومزايا ومفاخر عظيمة فهو دليل على المشاعر الكريمة الرحيمة المملوءة بالخير والاشراق والأخلاق الكريمة التي يجب أن تسود بين الأفراد ، هي التي دعت اليها تعاليم الاسلام . فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية تفيض بالحث على مكارم الأخلاق والدعوة الى ذلك وتدعو الى الفضائل والمثل السامية والآداب الرفيعة وتنهى عن المساوىء وتجنب الرذائل وسيء الصفات .

ولقد قال الله تعالى مخاطبا نبيه : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وفي حديث آخر : « ان أحبكم الي أقربكم مني

مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الذين يألفون ويؤلفون » ..

ولقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن البر هو حسن الخلق ، وفي الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وان الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : الفم والفرج .

وفي الصحيح عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم : « أن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم ثم القائم » رواه أبو داود ..

ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول في دعاء الاستفتاح : « أللهم أهدني لأحسن الاخلاق ، لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها الا أنت ..

ان حسن الخلق فضيلة من الفضائل بل يرفع صاحبه مقاما محمودا بين الناس ويضفي عليه ضروبا من التقدير والمودة فعلينا ان نزيد في رصيد حسن أخلاقنا من تواضع وصفاء وتآلف ومحبة وايثار واخاء .

وأن نقلل من كل ما يتنافى مع ذلك مما يكون نهايته سيئة ونبتعد عن كل حقد وحسد وبعد عن سبيل الخير ونهج الاسلام .

ولقد قيل :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وأيضا :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فانهموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

معنى العيـد

لقد مضى شهر رمضان المبارك الذي نعمنا فيه وأمضينا أيامه ولياليه كأروع ما تكون الايام وأجمل ما تكون الليالي وجاءت أيام العيد تحفل بالتهاني والتحيات والتزاور وتغمر الناس فيه البهجة وتأخذهم النشوة والفرحـــة والسرور • فلتتعانق فيه قلوبنـــا ولتتصافح فيه مشاعرنا ولننعم في أفيـائه بالصفاء والســـماحة والالفة •

وكم يحمل العيد من معان سامية كريمة جـــديرة بالتبصر والتأمل فهو عيد يذكر بأكرم الذكريات ووقت للذكرى والتأمل فلا يكفي المرء أن يفرح ويبتهج •

فالعيد موسم كريم ومناسبة جميلة وفرصة لعمل الخير وازالة كل خلاف وتسوية كل خصومة ووسيلة الى التصافي والمحبة والمودة ومكارم الاخلاق وصفاء النفس وسمو روحي ترتفع النفس فيه من أدران المادة وأثقالها •

فلنطهر نفوسنا فيه من الحقد والحسد والوشاية والضغينة وكل العوامل الشريرة والمساوىء وننـــدد بكل عمل يتنافى مع ديننا الاسلامي السمح وأخلاقنا الكريمة ، ولنتخذ من العيد عبرة ودرسا لما بعده •

ولنهذب أخلاقنا ونعود نفوسنا على كل معنى سام كريم ولنتخذ من العيد فرصة لبذل المعروف واسداء الجميل وعمل الخير وابداء

النصح والتوجيه والارشاد وتحريك المشاعر والقلوب نحو المثل العليا والغايات الرفيعة ومساعدة المحتاجين والاحسان الى الفقراء والمساكين ، ونمد يدنا اليهم ونعطف عليهم ونمسح آلامهم ونجود ونسخو على أولئك البائسين والمعوزين والأرامل ونعطيهم في سخاء لكي يستطيعوا المشاركة والفرحة بالعيد ·· وليكن عيدنا عيد الشكر على النعمة ولا ننسى ما فرضه الله من حق معلوم ولتمتلىء نفوسنا بالحب والخير والايثار وتتطلع الى المثل الكريمة والقيم النبيلة ودرء كل شر وسوء ولتنطوي نفوسنا على المحبة والخير والثقة ودعم الصلات الروحية التي تجمع بين أفراد الاسرة وشد أواصرها ولنملأ رحاب حياتنا بكل خير وفضيلة ونصلح ونصحح كل خطأ ارتكبناه ·

وليست العبرة في العيد أن ننفق النفقات الكثيرة ونجهد أنفسنا في ذلك ونسرف في المأكل والملبس وننسى جارنا وقريبنا ومن له حق علينا ·

فليس العيد أن يسعد الانسان وحده وينسى غيره ، وديننا يحث على ان تظل روابط الأخوة باقية وان يظل التعاطف والتراحم والتعاون قائما ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام· « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » تلكم من هدي النبوة دعوة الى الخير والتعاون ·

وليكن العيد فرصة لنا نحاسب فيه أنفسنا ماذا قدمنا من خير وماذا عملنا من عمل صالح وماذا حققنا من فضائل وأعمال نافعة واستقامة على الطريق القويم ·

وأن نوجه بصرنا وأبصارنا الى كل عمل نبيل وتطهير النفوس من هوى النفس وغلبتها وترجيح جانب العقـــل والحق والمنطق دائما ٠٠ ولندرك في ثقة وايمان ويقين كل معنى كريم يدعونا اليه الدين ويأمرنا به ٠ وليكن عيدنا عيد النفس الشـــاكرة المشرقة بالخير والامل والرجاء ٠

ليشهدوا منافع لهم

يلتقي المسلمون بعد أيام قلائل في رحاب مكة المكرمة متجاوبة قلوبهم ومتصافحة نفوسهم ومليئة بالبهجة والغبطة والتطلع الى رحمة الله والاستجابة لندائه ·· يجيئون من أماكن نائية ممتطين الطائرات متجشمين السفر وأهوال البحار ··

يفدون من كل جنس وطائفة ·· من قارات متباعدة ولغات متباينة منصهرين في بوتقة واحدة هي الاسلام ومهللين ومكبرين ومكبرين ومرددين دعاءا رائعا : « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك » · ومستجيبين لقول الله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » ولقوله تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب » ولقوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ··

هكذا يعلمنا الله لنؤدي ذلك في خشوع وخضوع وعبادة وطاعة ···

ان الحج لمظهر رائع تتحقق فيه الاخوة الصادقة والمساواة الكاملة فلا فرق بين غني وفقير ولا ترفع ولا استعلاء بل محبة وتطلع الى رحمة الله ، فالكل قد جاء في لهفة وشوق وأمل لتأدية هذا الركن الخامس من أركان الاسلام في مظهر قوي عتيد ··

فما أجدرنا أن نتبين حكمة الشـــارع في ذلك وما يوحي به الحج من عبر وعظات ففيه تجرد من الخطايا وارتفاع عن الدنيـا وما فيها وتقرب الى الله واعتراف بعظمته وشكر على نعمه وتطهير للنفس وسمو بها ..

وما أروع المنظر حيث يتجرد النـــاس من ثيـابهم وزينتهم ونزعاتهم وأطماعهم وأنانيتهم وينفضون عن أنفســـهم شوائب الآثام ورواسب الخطايا ، وتسري في قلوبهم دفقات الايمان والخير والمحبة والصفاء .. ويروضون أنفسهم على الصبر وقوة الاحتمال حيث يرتدون لباسا واحدا ويرددون دعاء واحدا ..

حقا انه لدرس عملي خالد يتعلمون فيـه كيف يحاســبون أنفسهم وما يجب عليهم نحو دينهم ودنياهم وهم أمام بيته الكريم الذي وصفه الله تعالى بأنه أول بيت وضع للناس وأنه مبـــارك وهـــدى للعالمين حيث قال ، « واذ جعلنـــا البيت مثـابة للناس وأمنا واتخذوا من مقـــام ابراهيم مصـــلي وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود .

وفي مكة وبطاحها تختلط تلك الجموع يرفعـــون الدعـــاء ويلتمسون الرحمـــة والهداية ويبتغون الفضل والغفران تربطهم محبة ـ روحانية طاهرة وصفاء ديني سـليم ففي هـــذا المكان تناسوا أحقادهم وانتصروا على أطمـــاعهم واهوائهم واطرحوا كل عوامل الشر ومفاتن الحيـــاة . وجاؤا بقـلوب مفعمة بحب الله وفاضت نفوسهم وجوارحهم بالانابة لأمر الله وترديد الدعـوات الزاخرات بالايمان واليقين والرضى ثم ما اروع ذلك اليوم الذي ينطلقون فيه الى عرفات مشاة وركبانا حيث يجتمعون في صـعيدها في ضراعة وخشوع تمتد أيديهم بالدعاء وتلهج ألسنتهم بالثناء على

الله وتأخذ قلوبهم في الخشـــية • وتخفق بذكر الله وتغمرهم ـ الطمأنينة وتجيش نفوسهم حمدا لله وشـكرا على أن وفقهم لبلوغ هذا الموقف العظيم ••

وحين ينصرفون من عرفات ما أروع المشهد انه لتذكير للمرء باليوم الآخر يوم البعث والنشور • ويعلمنا الله بعـــد ذلك حيث يقول : « فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشـعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين » •• ثم المبيت بمزدلفة والذهاب الى منى ورمي الجمار • والطواف والسعي بين المروتين •

ولما للحج من أجر وفضل فقد روى عن عائشـــة رضي الله عنها قالت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال افلا تجاهد قال : لا • لكن أفضل الجهاد حج مبرور وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال • سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ••

ما أحرانا أن نتدبر فلسفة الحج ومغزاه وندرك المعـــاني الكبرى والتعاليم العظمى التي جاءت بها شريعتنا السمحة العادلة فليكن لنا من تلك المبادىء والأهداف ضياء ونورا وقوة نسير بهما في دروب الحياة والخير وينبوعا يملأ نفوسنا طهرا وعفة وحنـــانا وتطبيقا وفهما لمعاني ديننا قولا وعملا •••

الإسلام قوة وعمل

الشريعة الاسلامية جاءت رحمة للعالمين وهداية الى الطريق المستقيم والاسلام دين سماوي خالد رسم حدودا ووضع آمـــوزا وسن تعليمات تهدي الناس الى الخير والعدل والصواب وجاء بنظم لبناء مجتمع سليم ودعا الى الأخوة ـ والتعاون والتكافل وقرر أن الانسان أخ الانسان لا يظلمه ولا يحقره بل تماسك وتآزر وتجنب لكل سوء وشر فهو يحوي مقومات الحياة والاصلاح والتطور ٠

لقد جاء الاسلام لاصلاح أحوال الأمة في شتى ضروب الحياة من معاملات وحقوق وعبادة وحسن سلوك وكل ما يؤدى الى الحياة الفضلى ويقول الله تعالى في كتابه الكريم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ويقول (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ٠ وفي الاشـــارة الى أهمية الدين الاسلامي وأن الله سبحانه وتعالى اختاره للبشرية كدين سمح عظيم يقول الله (ان الدين عند الله الاسلام وقال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ٠

حقا انه لشرعة مثلى فيها معاني الخير والروح والطهر والوفاء وتفسير لمشكلات الحياة والتطلع الى الحياة الكريمة بل ـ ومبـــدأ عظيم الى اصلاح النفس وتطهيرها من كافة الشـــوائب والرواسب ورذائل الصـــــفات وسمو بها الى آفاق عالية مشرقة ودعـــــوة الى محاسبة النفس عن الزلل والخطأ والانحراف فلنتعرف على فلسفة الاسلام وخصائصه وفضائله وما نهجه من توجيه وأخلاق ورحمـــة

وتعاليم للعمل بمقتضاها وعدم الحيدة عنها فالاسلام لا يأمر بشيء ويدعو الى تجنب شيء الا لتحقيق مصلحة معتبرة وحسبنا أن نلقي نظرة على تاريخ الاسلام لنعرف كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم من ادراك وفهم وثبات حيث ظلوا متمسكين بعقيدتهم مستمرين في الثبات على ذلك بكل وفاء وعزم وارادة وما أحرانا أن ندرك قول الله : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) . فالاسلام بين كل شيء يتعلق بالحياة والمجتمع فهو بهدينا الى أن نعمل كل ما من شأنه تطويرنا وننفض عن أنفسنا كل كسل وخور وتواكل ...

بل اتجاه الى العمل على أساس من الوعي والمعرفة والعزيمة فمقاصد الاسلام أن تتحقق للمسلم الحياة والعزة والكرامة في أوسع معانيها فهو يتيح لنا مجالا في سلوك الطريق السليم الذي به نصل الى القوة والتكامل والارتقاء وتحقيق كل معنى كريم فما أجدرنا أن نتفهم بوعي هذا الدين الذي ارتضاه الله والعمل بما جاء به ففيه الحياة والتقدم والاسلام لا يعادي أي تطور من شأنه أن يزيد في القوة والتمكين والمنعة ان الاسلام ليس سلبيا في الحياة بل هو سعي الى الخير واتجاه نحو التقدم وعامل في حفز الأمة على التعاون والتماسك والبناء مما ينسجم مع طابع التعاليم التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم والسير على ضوئها . فالاسلام يحرص دائما على اقامة المجتمع السليم على أساس من التعاون ـ والمحبة والوفاء والاندفاع نحو العلم والابداع والمثالية .

والاسلام حافل بكل قواعد الحياة يرسم بوضوح مناهج الطريق وتوجيه المرء وجهة الحق والقوة والعدل والى كون المسلم يحتل المستوى الرفيع ويتطلع دائما الى الأمام ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي

كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز واذا أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان » ٠

فالاسلام يحرص على السمو بالمرء ٠ بل هو قوة روحية تحفز دائما الى كل ما من شأنه العلو والرفعة ٠٠

فلنتدبر ما في ديننا من خير ونور وهدى وما كان عليه أسلافنا حتى نتبوأ المكان اللائق بنا لنا لنكون في طليعة الأمم ٠٠

الوفاء بالوعد

كم للوفاء من آثار حميدة فهو دليل الايمان الصادق والوفاء الكامل وعنوان على التحلي بالخلق الكريم وقوام الفضيلة والصفات النبيلة ..

فليس على المرء أشد وأنكي من اخلاف الوعد وعدم الوفاء به ولقد سمي مخلف الوعد منافقا والايمان أساسه الصدق ، والنفاق أساسه الكذب .

لذا فان الوعد ناحية حيوية هامة وأمر على جانب كبير من الاهتمام يجب على المرء أن يكون ملتزما بما وعد به . وبجانب الأفراد الذين يلتزمون بالوعد ويحرصون عليه بكل دقة وانتظام توجد فئة من الناس قد لا تعير ذلك أي اهتمام أو مراعاة فمن السهل جدا على البعض عدم التقيد بما وعد به وتراه لا يهتم بوعده أو يحرص على الوفاء به في وقته وزمانه وصار اخلاف الموعد أمرا سهلا وغير ذي بال لدرجة أن المرء يحدد موعدا يقطعه على نفسه ويرتب وقته على ضوئه وينظم أموره على أساسه ثم يصادف، ألا يتقيد الطرف الآخر بذلك . كما يصادف أن تذهب لقضاء أمر من الأمور فيعدك صاحبك بقضائها غدا وتأتي في الوقت المحدد فيكرر عليك ما سمعته منه بالأمس وهكذا دواليك ..

ولقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان .

وفي حديث آخر الصدق طمأنينة والكذب ريبة . وقال عليه السلام : عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي

الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا · واياكم والكذب فان الكذب يهدي ـ الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ··

ولقد أوضح الله في كتابه المبيين أهمية الصدق وحث على الحرص عليه · قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ·· » وقال « ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم » ··

ولقد أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال : « وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ·

وأخبر عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين ·· فقال واجعل لي لسان صدق كما يبشر الله عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق ·· فقال تعالي « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » ··

ان عدم الوفاء بالوعد داء مقيت ومرض يجب معالجته ·· فلنحرص على أن نكون صادقين في أقوالنا وأعمالنا ومواعيدنا ونتواصى على ذلك وتقوم معاملاتنا وحياتنا على التزام ذلك · وليكن الصدق هو شعارنا وغايتنا وأن نكون أوفياء فيما نقول ولنكن صادقين فيما نعد أوفياء للحق دائما ·

ولقد قال شاعرنا القديم :

اذا قلت في شيء نعم فأتمه فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول الناس انك كاذب

ولنسارع الى كل خير ولنتسابق الى كل فضيلة ، وننبذ كل صفة رديئة واجتذاذ كل خلق سيء واحلال روح الخير والوفاء والصدق دائما ··

لنتبرع بسخاء

الأمة العربية والاسلامية مطالبة اليوم أكثر مما مضى بأن تعد نفسها وتهيء حالها وتحزم أمرها حفـــاظا على كيانها وذودا عن كرامتها ودفاعا عن مقدساتها وبلادها ..

ان النكبة الفاجعة المؤلمة التي حلت بأمة العرب والاســـلام وملأت النفوس حزنا والقلوب ألما وأدت الى اغتصاب جزء عزيز من أراضيها وسلب المسجد الأقصى ثالث الحرمين والقبلة الأولى لهو أمر جلل وخطب فادح يتطلب المبادرة في اعداد العدة وانتهاج طريق الاستعداد والقوة واصلاح الحال ووضع الخطط الرصينة لذلك ونبذ الفرقة وتوحيـــد الكلمة على أســـاس من دين الله وتعليمه ..

فنحن نواجه عدوا شرسا ظالما أزهق الأرواح وأهرق الدماء على مذبح طيشه واستهتاره وطمعه ورغبته في التوسع .

ولكم أثلج الصدر ووفع الرأس عاليا وأفعم النفوس ايمانا وتطلعا وزادها تفاؤلا ان شاء الله .. هو ما نسمعه هذه الايام من بطولات للفدائيين وتضحيات مجيدة وتوجيه ضربات للعدو واحباط مكائده وغدره وتضييق الخناق عليه ..

ولا ريب أن هذا العمل البطولي الذي يقوم به الفدائيون من تضحية وفداء وشجاعة .. لأمر يدعو الى الاكبار والتأييد وينتزع الاعجاب ..

لذا ما أجدرنا أن نمد يد العون والعطاء لهؤلاء بسخاء الانفاق في هذا السبيل مضاعف ·· ولقد قال الله تعالى « ومن يقرض الله قرضا حسنا يضاعفه له » · وقال « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا » ··

وأمتنا العربية والاسلامية أمة ذات مجد عريق وتاريخ ناصع ومروءة وشهامة ونبل وايثار وغير تلك الصفات التي شمخت بها الى أوج المعالي ··

ولذا فلا بدع اذا طرق أسماعنا كل يوم وخاصة في هذه البلاد وذلك بما يجود به المواطنون من عطاء وايثار وتبرع وتسابق في ذلك ··

فمزيدا يا أخي من الجود والبذل من أجل اخوة يقاومون عدوا شرسا فراحوا يبذلون دماءهم رخيصة ويواجهون المخاطر

فلنكن لهم سندا وقوة ليزدادوا صرامة وقوة واستبسالا ·

رعاية الوالدين

جاءت الشريعة الاسلامية تحث الأمة على الخير وتبصرها بأمور دينها ودنياها وما تركت جانبا من جوانب الحياة الا وتناولتها · بحثا وتمحيصا ومعالجة واهتماما ووضعت الحلول الملائمة لذلك ··

ولقد أكدت الشريعة في الحث على الاهتمام والارشاد نحو رعاية الوالدين والقيام بأمرهما والحدب عليهما ومنحهم كل حب ومودة واحترام واجلال كما نهت الشريعة الاسلامية عن اساءة معاملتهما وعدم البر بهما ·

فاحترام حقوق الوالدين ومشاركتهما دليل على المحبة والتقدير لهما ··

وعلى الآباء لكي يحظو بأبناء بررة صالحين أن يعملوا على توجيه أبنائهم نحو الخير والمثل الرفيعة والتحلي بالأخلاق الكريمة والتعاليم الاسلامية ··

ولكي لا يوجد تصدع في علاقات الأبناء مع الأباء أن يكونوا على قرب وملازمة ومراقبة دائمة لابنائهم فاذا رأى الأب انحرافا في سلوك ابنه عليه أن يبادر الى تقويمه وتوجيهه ونصحه وارشاده وتهذيب أخلاقه ومراقبة سلوكه بدون قسوة أو عنف بل يكون على بينة من مشاكله وما يحدث له فيعالج ذلك بطريقة تربوية سليمة··

كما أن على الأبناء أن يكونوا مثالا حسنا في السمع والطاعة لآبائهم وأمهاتهم وعدم النفور منهم وتطبيق نصحهم وتوجيههم

والاحسان اليهم ومخاطبتهم بالأسلوب الرقيق في أدب جم وتواضع كريم وخلق فاضل وما أروع أن نتدبر ونقف كثيرا نتأمل قول الله تعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا أياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » ..

وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نصح بالغ وتأكيد على حق الوالدين فكثيرا ما وردت الأحاديث توضح وترشد الى أهمية حقوق الوالدين والمبادرة الى الاحسان اليهما والدعوة الى صلتهما والتحذير من التهاون بأمرهما ..

ان على الأبناء أن يتذكروا ما يعانيه آباؤهم وأمهاتهم في سبيل تنشئتهم وما تقاسيه الأم من متاعب صحية ونفسية وقلق لراحتها وما يبذله الأب من مجهود ضخم وسعي متواصل في سبيل توفير العيش الكريم والاستقرار والهدوء .

وما أجمل أن نردد مع الشاعر قوله :

أطع الاله كما أمر ... واملأ فؤادك بالحذر
وأطع اباك فانه ... رباك في عهد الصغر
واسمع لأمك وارضها ... فعقوقها احدى الكبر
حملتك تسعة أشهر ... بين التألم والضجر
واذا مرضت فانها ... تبكي بدمع كالمطر

ويقول شاعر آخر في ذلك :

للوالدين كرامة ... ومحبة مني وفيه

كم أســـديا من نعمـــة أو أهديا خـــيرا اليـــه
بهمـــا أعيش منعمـــا وظلال برهمـــا ندية
وهمـــا عمـــاد مسرتي ومعيشتي بهمـــا هنيـه
اني أطعتهمـــا فـــلم أرمنهمـــا غضـــبا عليه
ما عشت لا أنســـاهما عظم الجميـــل لوالديه
لهمـــا ثنـــاء طيب وعليهمـــا مني التحيـة

الأفكار البنـاءة

ثمة مثل يقول (نصيحة المخلص في القلب) ولا شك أن هذا المثل لا يخلو من الحقيقة ولا يبعد عن الواقع فلنفكر قليلا وننظر في كثير من الاقوال والآراء التي تقال فالانسان بطبيعته يتلقف الرآي السليم ويبحث عن الفكرة الناضجة التي تحمل بين ثناياها صدق القول وحرارة الشعور فيحس القارىء برابطة قوية تشده الى متابعة قراءة تلك الآراء لأنها تعكس ما يعتمل في النفـوس ويراود الخيالات ويساور الخواطر ولانه يعبر أصدق تعبير عن خلجات تلك القلوب التي تظل بطبيعتها متجاوبة ومنسجمة تمام الانسجام تتابع في شغف كل قول يسعى من أجل خدمة فكرة بناءة ورأى هادف ومثل سامية اذ يمس شغاف القلب بلا تـكلف ولن تكون الكلمة هادفة أو النقد بناء الا اذا كان تقويما وتشـخيصا سليما يبرز المحاسن ويجلوها ويدفع الى بلوغ المستوى والعمـل الافضل دون ضجة أو تشهير أو حقد أو لجاجة أو صلف فالعمل أي عمل والفكرة أيا كانت ما لم يكن هناك ايمان قوي بها وحرص على تطبيقها فلن تكون ذات جدوى فالحرص على التطبيق هـو العنوان الجلي للقبول والاقتناع ٠

ان شرف القصد ونزاهة الهدف والاتزان في التعبـير من الامور التي تجعل للقول قيمة وللكلمة مقدارا فلنكن أوفياء فيما ندعو اليه وصرحاء فيما نريده فالرجل العظيم هو الذي يشـعر أنه في حاجة الى المزيد دائما للتعرف على أخطائه ـ وعيوبه وتجده يسعى ويأخذ في وسائل اصلاح ذلك وتطهير نفسـه والسمو بها

ما وسعه ذلك ....

أما من يبهره الثناء ويعميه المديح ويأخذه الغرور ويحيط نفسه بهالة من الكبر والترفع فانه بلا شك سيكون سخرية وموضعا لازدراء الآخرين ....

ان الحقيقة أن نعرف ذاتنا وما تنطوي عليه نفوسنا من نقص وعيوب ومن ضعف وأوهام وبالفحص السليم والادراك الواعي والنقد الموضوعي نضع أنفسنا حيث يجب أن تكون وفي ذلك يقول أحد المفكرين كلما ازددت تعمقا في دراسة أعمال المشاهير العظيمة ازددت ايمانا بأن دوافع هذه الأعمال انما هي عيوب في أصحابها ونقائص تحركهم نحو العمل الكبير ..

وليس بدعا أن يبرز في صحافتنا اتجاه محمود ونلمس محاولة جادة للاصلاح والخير وتسليط الأضواء على ما من شأنه خدمة الصالح العام . ان كل نفس تواقة للاصلاح وحريصة على البناء لتبارك هذا الاتجاه الذي يبرهن على الاصالة ـ والايمان في سبيل الرأي السليم والفكرة المخلصة الواعية التي تتشح بطابع الصدق وتتميز بالحب لهذا الوطن ودوام الخير والازدهار له ..

فالفكرة البناءة تحفل بالصدق وتوقظ في النفوس المعاني النبيلة وتعمل على محاربة المساوىء وتعالج مواطن الضعف اننا لنتمنى من أعماق قلوبنا أن نرى التجاوب الصادق مع كل فكرة بناءة هادفة الى الخير والاصلاح ..

كما أنه يتأتى على المرء أن يأخذ على عاتقه مساهمة في البناء ورغبة في الخير أن تكون اراؤه مبنية على النصح المحض لكافة من يرتبط بهم سواء كانوا أولاده أو عشيرته أو زملاءه فيحاول بقدر استطاعته بث الكلمة الحسنة والقول المفيد والفكرة السديدة

والنصيحة الخيرة ومحاربة كل غش وخداع وسوء طوية ومكيدة ويمد يده للعون والمؤازرة يتحرى الصدق لكي ينفذ الى القلوب فليس هناك شيء ترتفع قيمته وتتفتح القلوب له وترهف سمعها له مثل من يدل على الخير ويدعو الى الاصلاح ويتحدث عن كل فكرة مشوقة ويملأ القلب والحس بمعاني الوفاء والمشاعر الصادقة النابضة بالروح الكريم وما أصدق قول الله تعالى « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها « وقول الله » فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ٠

التفاؤل مصدر النجاح

لعل التفاؤل من أبرز عوامل نجاح الشخص في الحياة وجعله يسعد في حياته ويفوز في أعماله ، ويبلغ ما يطمح اليه من آمال ومثل وسؤدد ، فهو يغرس في النفس أمورا شتى ذات أثر ايجابي في مستقبل الشخص وفي خط سيره الحياتى ويوطن النفوس على أن تكون أكثر قدرة واستعدادا لمواجهة عبوس الأيام ... وعوادي الزمان .. فهو سلاح يرفعه صاحبه في وجه كل رزية وبلاء .. ومتى افتقد الشخص هذه الصفة الكريمة والعنوان النبيل فقد ينشأ عن ذلك للمرء أمور عكسية تكون سببا في تعكير صفو حياته فتتقاسمه الهموم وتنتابه المخاوف . ويقلق لكل ما حوله فيجزع لكل ما يصيبه . ويعيش فيه الهلع ضد ذلك بشكل مرير .

أجل ، ما أجدر الآباء والأساتذة والأمهات أن يربوا الصغار على التفاؤل وتعويدهم على أن ينظروا للحياة من زواياها الحسنة ونوافذها المضيئة والمشرقة بالحاضر والمستقبل فمن الخير أن تمتلىء النفوس رضى بذلك ، وتعلقا بجميع الجوانب الحسنة والخيرة .. والقدرة على القيام وممارسة أعباء الحياة ومسؤولياتها الثقال من غير أن يتكل على غيره أو يعتمد على سواه ...

فما أجدرنا أن نربي نفوسنا ونروض عقولنا على أن تكون دائما متفائلة وبعيدة عن كل تشاؤم ولتكن روح التفاؤل في كثير من أعمالنا وضروب حياتنا وننظر للامور نظرة أمل وفرح وسرور لا نظرة تشاؤم وسوء وقنوط فطالما كان التشاؤم سببا للشر والكآبة

والهموم فينغص على المرء حياته ·· ويحيل سعادته الى شقاء وفرحه الى حزن وأمله الى خيبة وسروره الى تعاسة ، وكم نشاهد لونا من الناس ينظرون للامور دائما بمنظار أسود واستنتاجات تقوم على أشياء لا أصل لها ويغوصون في بحار من الخيـــالات ويطلقون لأنفسهم عنان الأفكار الوهمية فتسيطر على نفوسهم خيالات باهتة ووساوس سيئة ·· وبجانب ذلك نرى نمطا آخر من الناس يلتزم بروح التفاؤل وتمتلىء نفسه ثقة واشراقا فيستهون كل شـــدة ويستعذب كل مر ويستسهل كل صعب ويرضى بما حـــل به بكل صبر وقوة وثبات · أجل ، ان في ذلك لدليلا على ما يتمتع به المرء من قوة الشخصية والقدرة على التفكير والعمل والنشاط وترجيح جوانب الخير وعدم السماح لعوامـــل النفس والهوى أن تتغلب ، فمن الحكمة أن تتغلب عوامل الخير دائما على سواها مما يتنافى مع العقل والمنطق ولنا في رسول الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة، فقد كان يتفاءل دائما ، ويكره التطير ، وفي الحديث (ليس منـــا من تطير) والتراث العربي زاخر بالقصص والطرائف للمتفائلين والمتشائمين ·

ولقد أكبر الحكماء والمصلحون دائما جانب التفاؤل ومعالجة من سيطر التشاؤم على نفسياتهم وصدق الله العظيم اذ قال في كتابه الكريم : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) فكم في هذا التول من توجيه كريم وبرهان عظيم على رجاء الخير دائما ···

وليكن رائدنا ورفيقنا في أيام الشدة والرخاء وأثناء العمـــل في المنزل والسفر والاقامة ، في الصحة والمرض ، في اليوم وفي الغد، في الفوز والاخفاق ··

أهمية المحافظة على الوقت

انه لمن الظواهر التي تلفت النظر أن يوجد عدد من النـاس لا يعنى بوقته لدرجة الاسراف في ذلك والانطلاق في تبديده بيد أن المحافظة على الوقت من الأمور الحيوية الهامة ٠

فالوقت يجب استغلاله فيما ينفع ويفيد ويعود بالنتيجة الحسنة والفائدة الكبيرة بدلا من ضياعه في أمور تافهة وأشـياء ضارة ٠ ولقد قيل قديما : « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » ٠

والواقع أن هناك فارقا كبيرا بين من يحافظ على وقته ويرعاه وبين من يئد وقته ولا يحافظ عليه فما أحرانا جميعا أن نتجـه اتجاها فعالا في ضرورة المحـافظة على أوقاتنا أيا كانت أنماط حياتنا ونوعية أعمالنا ، فالموظف مطلوب منه أن يحافظ على وقته الرسمي وانجاز ما أمامه من أعمال وما أنيط به من مسؤوليـات ويحرص على عدم تأخير ما لديه وتأجيله الى أيام أخـرى فيتسبب في تعويق مصالح الأمة وتعويد نفسه على اللامبالاة وعدم الاكتراث، وكذلك العامل في معمله اذا وكل اليه عمل من الأعمال يجب أن يكون مثالا حيا في المحافظة على الوقت والاهتمام بالواجب والدقة في العمل واتقانه وكل ما من شأنه أن يكسـبه مزيدا من الخبرة والمران ٠٠ وكذا الطالب عليه أن يحرص على الاستفادة من يومه الدراسي ومذاكرة دروسه وهضم ما يتعلمه ويأخذه عن أساتذته وصرف وقته الدراسي فيما يعود عليه بالفائدة والمعرفة والوعي ، واهتبال الساعة الذهبية التي تمر به مع أساتذته وجعلها حافلة

بمزيد من النقاش والفهم وتنمية المواهب · وكذا المعلم في حصة الدرس ما أجدره أن يكون نموذجا وقدوة حسنة في كيفية المحافظة على الوقت ، وتبصير طلابه بضرورة ذلك وأن هذه الدقائق المعدودة التي تمر بهم لهي حير الأقات وأفضـــل الســاعات ·· وهكذا دواليك من الأمثلة التي سقتها لمجرد التدليل على ضرورة صـيانة الوقت من العبث واللعب وعدم الاهتمام ·

فيا أخي ما أجدرك أن تكون محافظا على أوقاتك حريصا على عدم انفاقها فيما لا يجدي بل حاول دائما توخي الاســتفادة من الوقت فيما يعود بالانتاج والامتيــاز والتفوق ، فكم من أفراد حافظوا على أوقاتهم وصرفوها في أمور نافعة فتوصلوا الى نتـائج باهرة ونبوغ رفيع · ونظرة عابرة للواقع البشري تعطينا دليلا على ذلك ·

بالصناعة نساهم في تطوير بلادنا

ليس من ريب في أن الصناعة من دلائل التقدم وعوامل التطور والنجاح لأي أمة تطمح الى النهوض وتريد السؤدد والعلو في مختلف مناحي حياتها ·· فهي مصدر القوة والمنعة والدعامة المكينة لبناء المستقبل فلا كيان لأمة لا تؤسس حياتها على العلم والاكتفاء الذاتي في مختلف ضروب حياتها مما يقيها شر نوازل الدهر وتقلباته ولقد أولت الأمم الواعية شأنا عظيما للصناعة واعتبرتها أساسا للبنـاء وغاية للتطور والصعود الى ذرى المجد ومعارج النهوض والرفـعة فراحت تبذل الأموال بسخاء وتضاعف الجهود والقدرة لايجـاد صناعات ثقيلة خفيفة ببلادها ·· وتخصص جزءا كبيرا للدراسات الفنية والبحث والتشجيع واتباع الأساليب العلمية التي تؤدي الى السير المنظم وتدفع الى العمل وتهيء للانتاج والنمو والتوسع ··

وبلادنا والحمد لله تملك الامكانيـات الواسـعة فهي غنية بمعادنها ونفطها وفي حاجة الى من يستغلها ويستثمرها في التنمية مما يؤدي الى خلق وعي صـناعي يكون حافزا لنشـوء مختلف الصناعات لتظل منبع خير ومصـدر ازدهار ، ومنطلق تقـدم ورفاهية ولعل من نافلة القول أن أشـير الى أن كل مواطن يتطلع الى اليوم الذي يرى فيه المؤسسات الصناعية وقد امتلأت بها أرجاء البلاد وسدت حاجة الوطن والمواطنين وتهيأ بعد ذلك تكامل صناعي رفيع يجلب الازدهار بين ربوع هذا الوطن في مختلف مرافق حياته وينطلق الى الأمام مسايرا البلدان المتطورة في هذا المجال وفي هذا العصر الذي أصبحت الأمم تتسابق فيه وتتزاحم في ميدان العـلم

والصناعة وتتنافس فيه بالابتكارات والاختراعات المدهشة التي تدل على ما بلغه العقل الانساني من قدرة ونشاط واستعداد وحذق ومهارة ، ولكي نواجه هذا التطور الصناعي العالمي فلا بد من اعداد وتأهب ووضع الخطط والمناهج لمسايرة التطور الكبير ولنحتل مكانا في ركبه نأخذ ونعطي ..

فالصناعة في هذا العصر هي الطريق الى القوة والثراء ، وبفضل الصناعة يتضاعف الانتاج بل وتساعد على رفع مستوى الحياة ، والتنقيب على ما في باطن الأرض والبحر والجو من مواد معدنية وبترولية وغير ذلك مما تتسابق فيه الدول اذ بقدر ما تملك من صناعات بقدر ما تستفيد من ذلك في زيادة دخلها ورفع مستوى معيشة أفرادها وتصبح قوة فعالة يحسب لها حساب ..

وقد سارت بلادنا والحمد لله في هذا الطريق مما أدى الى قيام صناعات متنوعة ستكون ولا شك ذات آثار هامة وعميقة في حياتنا اذ سينشأ عن ذلك مزيد من التطور والانتاج وكل ما يؤدي الى الاكتفاء الاقتصادى ويسد الحاجة .

كما أن ابتعاث العدد الكبير من الدارسين للتخصص في العلوم التكنولوجية الحديثة سوف يساعد على تحقيق النهضة الصناعية وتعويض ما فات على أساس من العلم والخبرة والأخذ بأحدث الوسائل التي وصلت اليها الأمم التي ضربت بسهم وافر في ذلك .. ما هذه النهضة التي نراها في مختلف المرافق الا بشير خير

دور الطرق في نهضة البلاد

تسير الأمم في هذا العصر بخطوات واسعة ·· ونحرز كل يوم ابداعا علميا وتطورا فكريا ونهوضا اجتماعيا في شتى مرافق الحياة ومجالاتها المتعددة ، ولقد أخذت بلادنا بفضل توجيه حكومتنا الرشيدة تسير في طريق النهضة والبناء مما يبشر بمستقبل زاهر سعيد ·

ولعل من دلائل التقدم في الأمة هو وجود شبكة من المواصلات تربط أجزاء البلاد بعضها ببعض ، فالطرق عامل هام في رفع مستوى الأمة ومقياس لمدى ما بلغته من تطور ونهوض وادراك · وأعتقد أنه لم يعد يخفى على أحد فوائد ذلك وما يترتب عليه من مصالح جمة ··

ولعل الذي يدفعني الى الكلام في هذا الموضوع ويزيدني رغبة في الحديث عنه هو ما لاحظته من اهتمام متزايد ودراسة جادة لاصلاح الطرق وربط أجزاء المملكة بعضها ببعض حتى تختفي جميع الصعاب وتتلاشى تلك المتاعب ، وهذا اتجاه حميد يدعو الى التفاؤل ويبعث على الاطمئنان ويبشر بالخير ·

اذ باصلاح الطرق تتبدد تلك النتوءات وتزول تلك الحفر والأخاديد التي تعترض المسافرين وتعرقل سيرهم وتعطل حركتهم وتعوق تصريف انتاجهم علاوة على الآلام النفسية والمشقة والعناء وبفضل اصلاح الطرق ينقلب هذا العناء هناء والشقاء سعادة والتعب سهولة والعسر يصبح يسرا فتزدهر الحياة في ربوع كافة

المناطق ويغمر الجميع الرخاء ، ويزداد دخل الفلاح ويتضاعف كسبه ويكثر محصوله ويعظم انتاجه ويتجدد نشاطه وحيويته فيصبح ناعم البال راضي الحال ويدفعه ذلك الى مضاعفة العمل وتطوير الانتاج وزيادته حيث سيتيسر أمامه السوق التي يصرف فيها انتاجه في وقت محدد وطريق سهل دون ضياع وقته الذى هو أحوج ما يكون للمحافظة عليه ، فمتى تمهدت الطرق وربط بعضها ببعض فسوف ينشأ عن ذلك تطور كبير في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية ونجني من وراء ذلك خيرا كثيرا ونفعا عظيما ، ويتحقق الازدهار والنمو المتواصل والتحسن المستمر لأن ذلك سيحفز الكثيرين الى الاقبال على الزراعة والتماس أسباب الرزق في جوانب الأرض المختلفة فيمضون مشمرين عن سواعدهم متجهين الى ميادين العمل ومجالات الانتاج ، وطبيعي أن اصلاح الطرق سيقرب المسافات وسيجعل المواطنين يتغلبون على كثير من مشاكل الحياة التي تواجههم وسيعقب ذلك حيوية ونشاط واهتمام وتحتل أمتنا مكانة عالية ويرتفع مستواها المعيشي ودخلها القومي ويتحقق لها الخير والرفعة والسؤدد باذن الله ..

التواضـع

التواضع فضيلة وخصلة كريمة وهو مبدأ من مبادىء الدين يضفي على أصحابه ضروبا من المحبة والاجلال وصنوفا من التقدير والاكبار ٠

وللتواضع أثر كبير في شخصية الانسان وفي نجاحه وفي عمـله وفي حياته العلمية والعملية ٠

ولقد كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسـلام يتحلون بفضيلة التواضع وكان الكثير من أسـلافنا من العلماء والأدباء والحكماء والفقهاء يمتازون بالتواضـع والتورع وطالما كانوا يخطئون انفسهم وينتصرون للحق دائمـا في حلقـات الدرس والمناقشات العلمية فكان هدفهم الحق والاقناع وبمقدار ما يكون الرجل متواضعا يبقى محبوبا وبقدر ما يكون متكبرا يظل مذموما٠

ولقد جعل الله النار دار المتكبرين كما قال تعالى : « أدخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » ، وفي آية أخرى: « أليس في جهنم مثوى للمتكبرين » ٠

وأخبر أن أهل الكبر هم الذين طبـع الله على قلوبهم حيث قال : « وكذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » ٠

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » ٠

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله أوصى الى

أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » ٠

وطالما أكثر الشعراء والحكماء والأدباء في التواصي على فضيلة التواضع والحث على الاهتمام بذلك ويقول أحد الشعراء :

كبرا علينا وجبنا عن عدوكم لبئست الخلتان الكبر والجبن

ويقول آخر :

متواضع والنبل يحرس قدره
وأخو التواضع في النباهة ينبل

وقيل

من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره
ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون حده

وقال عبد الملك بن مروان :

أفضل الرجال من تواضع عن رفقة وعفا عن قدرة وأنصف عن قوة

حقا ما أكثر ما قيل في ذلك من أقوال مليئة بروعتها وفوتها وواقعيتها ٠

ولا شك أن التواضع أساس للمحبة ورمز للالفة يوصي بسمو النفس واشراقة الروح واباء الضمير وعلو الهمة فينبغي أن نعود أنفسنا ونربي صغارنا على فضيلة التواضع في أمور حياتنا وأعمالنا وتصرفاتنا وأن نكون على جانب كبير من التواضع والحب والاخاء ٠٠ فالكبر والغرور دليل على الضعف لا القوة وعلى ضعف الشخصية ٠ والرجل المتواضع تجده أسعد نفسا وأقوى روحا وأكثر طمأنينة ورضى ٠ فلنكن فضلاء ومتواضعين ومنصفين بعيدين عن كل ما لا يتفق مع ذلك ، غايتنا الحق وهدفنا الخير دائما ٠

هواية غير مفيدة

يتفاوت الناس في طباعهم وعاداتهم وهواياتهم لدرجـــة أن البعض اذا شغف بعادة أو لعبة معينة أو هواية خاصة سيطرت على نفسيته وصار أسيرا لها وخاضعا لأحكامها · ومن ذلك نجد نوعا من الناس صار يصرف وقته وينفقه في لعبة الورق وغيرها بحيث استبدت به وجعلته يقضي وقته آناء الليل وأطراف النهار حتى صارت سمة بارزة وسجية يتميز بها لا يستطيع عنها تحولا بحكم الممارسة الدائمة والمواظبة المستمرة والالتزام الثابت ··

ولعل أكثر ما يبعث على عدم الرضى عن هذه العادة المقيتـة وعدم الارتياح اليها هو أن البعض اتخذها حرفة ، فلماذا هـــذا الاندفاع نحو ذلك ومزاولتها في كل ليلة ، تجد الواحـــد يترك أولاده وينصرف عن التزاماته ويهمل مسؤولياته ويؤجل كثـيرا من أموره العامة والخاصة بينما لو فكرنا قليلا لوجـــدنا ان من الأجدى والأفضل أن تستثمر هذه الساعات في شيء مفيد كالقراءة مثلا أو مواصلة الدراسة والبحث والتفكير في أي مشروع خيري أو عمل نخدم به أنفسنا وأمتنا ومستقبلنا ويعود بالنفع والخير علينا·

فالقراءة مثلا سوف نجني من ورائها الشيء الكثير فهي مجال خصب وحافز كبير على تكوين شخصية المرء وتزويد معارفه وتنمية ثقافته الى جانب أنها تمنحنا مزيدا من التجارب والثقافة وغرس كثير من المعاني النبيلة في نفوســـنا وكل ما يجعلنـــا أكثر قدرة واستعدادا في مواجهة الحياة ···

ان عادة اللعب هذه لا تستحق آن نضيع وقتنا فيها ونهدره بهذا الشكل ، ولو فكرنا قليلا في النتيجة التي نظفر بها بعد الانتهاء منها سوف لن نخرج بنتيجة أو نفع سوى اثارة الأعصاب وكثرة الجدال والتهويش والتبرم وانطلاق شرارات الألفاظ الجارحة التي طالما كانت سببا في اشعال الخصومة والتباغض ولو تصورنا قيمة هذه الساعات التي تمضي في ذلك ، ألم يكن من الأولى أن نجعلها في هواية أخرى من شأنها أن تبعث على الحيوية والنشاط وتحفز على المحبة والوئام وتنمي المواهب والاستعداد وتجعلنا أوفر صحة وأكثر فائدة ...

ولعل أكثر ما يؤلم أنك تجد البعض يحاول أن يظهر براعته ومقدرته في اللعب يتحدى منافسيه ولو أدى ذلك الى ضياع يومه أو ليلته ويستبد به الحماس والنقاش والجدال الطويل وكل ذلك على حساب رغبة لا صالح من ورائها بل هي على حساب صحته وراحته ومسؤولياته وواجباته التي أضاعها وأهملها .

تلك حقيقة مؤلمة تفصح عن تفكير محدود أو تصور مأساة لمن كان لتلك العادة أسيرا ، ليتنا ننصف أنفسنا وندرك مغبة ذلك فكل شيء له حدود فلنحاول أن نزيح عن نفوسنا هذا الكابوس السيء الذي يذيب احساسات النفس ويجعلها ذا كسل وخمول ..

ولنمزق الغشاوات التي تحجب عنا الابصار نحو النور ولنختار لأنفسنا نهجا نافعا سليما فلا يغشي عيوننا توافه الأشياء وليكن لنا من القوة والارادة ما نستطيع أن نهزم به ذلك والله الموفق ...

خطوات على أرض الأندلس

كانت زيارة الأندلس بالنسبة لي من أعز الأماني وأغلاها فطالما هفت نفسي وتطلعت الى مشاهدة تلك المعالم والوقوف على المفاخر العربية الاسلامية والمجد العربي المؤثل ، وشاء الله أن تتحقق تلك الأمنية ، ففي عطلة الربيع(١) أغتنمتها فرصة سيما أن جو الربيع الدافىء وما يحفل به من متعة وبهجة يشجع على ذلك ، فاتفقت مع مجموعة من الأصدقاء على تمضية العطلة في اسبانيا ، وبعد تهيئة الاستعدادات الواجبة للرحلة من الحصول على تأشيرة دخول وغيرها من مستلزمات الرحلة غادرنا مدينة وهران ، وهي المدينة الجزائرية الجميلة والثغر الباسم المطل على شواطىء البحر المتوسط ٠

وتوجهنا منها بطريق السيارات الى الحدود الجزائرية المغربية حيث وصلنا بعد مسافة قطعناها وهي ١٧٠ كيلو متر وبعد الاجراءات المعتادة دخلنا الحدود المغربية وتوجهنا الى مدينة (وجده) احدى المدن المغربية الكبيرة ، ومنها استأنفنا مواصلة السير متوجهين الى اسبانيا ، وبعد المرور بعشرات البلدان والقرى المغربية حيث المناظر الطبيعية الخلابة وصلنا الى مدينة (الناظور) آخر الحدود المغربية ، وبعد اجتياز المراكز الاسبانية التي لم يدم انتظارنا أمامها سوى بضع دقائق توجهنا الى مدينة

---

١ ـ لقد كنت وقتها منتدبا للتد ريس آنذاك بمدينة وهران بالجزائر في عام ١٣٨٤ هـ ٠

(مليلية) أولى المدن الاسبانية ، وهذه المدينة تقع على شـــاطىء البحر الأبيض المتوسط بها نشاط تجاري واسع وبها عدد كبير من العرب المغاربة ، وبعد زيارة لأهم معالمها التاريخية والحديثة ركبنا البحر قاصدين مدينة (ملقة) مدينة المجد العربي والتي كانت في الماضي عاصمة هامة من عواصم الخلافة ووصلناها بعد رحـــلة بحرية استغرقت أربع عشرة ساعة استمتعنا خلالها بجمال البحر ومشاهدة أمواجه ومناظره البديعة « وملقة » حاليا مدينة تجارية صخمة ذات جمال وبهاء ، تتوسطها الحدائق الفخمة وتصفي عليها المناظر الطبيعية التى تحيط بها من كل جانب جلالا وروعة ، وفي ملقة اندثرت جل المعالم العربية ولم يبق بها شيء يوحي بما كان للعرب والمسلمين من مجد ومعالم سوى القليل ومنها توجهنـــا الى مدينة (غرناطة) ولقد كان الطريق متعبا حيث المنحنيات المتعددة بداخل الجبال فلا تستطيع السيارة أن تزيد سرعتها أكثر من ٣٠ كيلو مترا ، أما جوانب الطريق فهي جميلة وممتعة لدرجة تنسي الانسان متاعب الطريق ، وعند وصولنا غرناطة صادفنا عشرات المرشدين ، هذا يعرض عليك فندقا وآخـــر يتعهد بمرافقتنا في زيارة المعالم والمناطق السياحية •

وتوجهنا الى فندق في داخل المدينة قريبا من قصر الحمراء ، وسكان غرناطة طيبون جدا يمتازون باللطف وحسن المعـــاملة والابتسامة ترتسم على وجوههم ويحبوب العرب كما أن مـــلامح أهلها غالبا أقرب ما تكون الى السمات والملامح العربية ، وتذكرت وأنا أطوف في شوارع غرناطة وفي أحيائها ما كانت تحفل به هذه المدينة من ندوات الأدب ومجالس الشعر ، وأعلام البيان وأساطين الفلسفة ورواد المعرفة وما خلفه أولئك العرب من مذاهب فكرية وتراث غزير ونظريات علمية • فكم شهدت غرناطة وغيرها من

نهضة فكرية متوثبة ونشاط ذهني لامـع • ووقفت لحظات وأنا أطوف بالأحياء العربية الباقية حتى الآن وأنتقل بفكري الى تلك الأيام الزاهرة المجيدة وما بلغه العرب اذ ذاك من شأو رفيع وما كان لذلك من أثر وفعالية في دفع الحضارة التي ملات الدنيا اشـعاعا ونورا • وابتدأنا بزيارة (قصر الحمراء) ووجدنا الزحام عليه شديدا لكثرة لوافدين من مختلف الجنسيات الأوروبية والأمريكية، وعند مداخل القصر لا تستطيع الدخول الا بعد انتظار حيث أن مئات السواح يلتقطون الصور لدرجة أنك تفرك عينيك كل لحظة لكثرة ما يصيبها من تسليط عدسات التصـــوير ، والأوروبيون بصفة عامة من أكثر السواح اهتماما فـكل فرد منهم يتأبط بين ذراعيه عدة كتب الى جانب قصاصات الصحف والمجلات التي كتبت عن هذا القصر وتاريخه •

ودخلنا القصر وهو قصر شامخ عالي البنيان يقع على ربـوة مرتفعة بحيث يطل على مدينة غرناطة وضـــواحيها وبعد قطع تذكرة الدخول وهي تباع بما يعادل ستة ريالات أخذنا في الطواف بداخل القصر وشاهدنا بوابة القصر الفخمة بأبوابها القديمة ثم غرف القصر وممراته وحدائقه الفخمة ونافورات المياه وقاعات الاستقبال ومجالس الخليفة ولا تزال النقوش والكتاباتوالزخارف باقية مثل (لا غالب الا الله) وغير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة والحكم الدينية والأبيات الشعرية ، واستمر طوافنا في القصر أكثر من ثلاث ساعات ونحن نخرج من قاعة الى قاعة ومن حديقـــة الى حديقة مما يعطي صورة حية للفن المعماري العربي الذي يدل على المهارة والدقة والبراعة وفي داخل القصر يوجد العشرات من باعة الصور المتعددة للقصر والتي تنفد بسرعـة من جانب المئات من السواح ، وفي القصر اقترب منا شاب اسباني عندما سمعنا نتحدث

بالعربية ومد يده لمصافحتنا ودار بيننا وبينه حديث عن القصر وتاريخه ولقد كان على جانب من الثقافة وأخـذنا متنقلا بنا بين طوابق القصر ومشاهده الفخمة وقام يقرأ لنـــا بعض النقوش والكتابات التي بدأت تندثر لدرجة أننا لم نستطع فك حروفهـا لامحاء الخطوط ، وفي القصر أدخلت المصابيح الكهربائية لاضاءته، وكم رددت مع شوقي وأنا أرنو الى القصر قوله :

يا قصـــورا نظرتهـا وهي تقضى
فسـكبت الدمـــوع والحق يقضى

ومن القصر خرجنا الى (جنة العريف) وهي حدائق جميلة مجاورة للقصر تعتبر غاية في الروعة والجمال والتنسـيق ومما يدل على الذوق العربي الأصيل ومما يزيد العربي فخرا أن هؤلاء المئات من السائحين الأجانب تسمعهم وهم يشيدون بالمجد العربي الاسلامي ويبدون دهشتهم لدقة ما في هذا القصر من نقوش وفنون وزخارف ، فصدفة التقينا بمجموعة من السواح الفرنسيين فقاموا يتحدثون عن عظمة الفن المعماري عند العرب وأن المسلمـين في ذلك العصر يعتبرون ممن أسهموا بنصيب كبير في دفع قافلة الفكر ـ ولا شك أن التقدم العلمي الذي أحرزه أسلافنا العرب في هـذه البلاد وفي ظروف كظروفهم يستحق الكثير من التقدير والعنـاية والاجلال ٠

وما أكثر ما تغنى الشـــعراء بالأندلس وافتنـوا في ذلك فوصفوا جمـــال طبيعتها وحياتها وبطاحهـا ، فهذا ابن هانىء الأندلسى يقول :

يا أهـل أندلس لله دركم ماء وظل وأشـجار وأنهار

وما أشد ما زخرت به أشعارهم من رقة وأخيلة وعذوبة وما

فاضت به من جمال وجلال ولذة ومتعة الى جانب ما تحفل به من ناحية فنية وجمالية ، ولا زالت الأجيال تردد تلك الأشعار التي تعكس بجلاء تلك الحياة التي تصف الأندلس وتتغنى به وتشدو بمباهجه ومفاتنه ·· وتصف حياتهم التي كانت مفعمة بالبهجة والرضى في تلك الربوع وفي أشعارهم تلك عرض واف لما كانت عليه حياتهم ومعارفهم وعلومهم وتقاليدهم وما اتصفوا به من كريم الصفات وجميل العادات وما أثر عنهم من لطائف وطرائف ومساجلات ·· وما نقله الرواة عن أحوالهم وشمائلهم وذكريات ولاتهم وقضاتهم وأيامهم ··

لقد خلفوا لنا تراثا ضخما كان بمثابة صور ناطقة حية بما كانوا يتميزون به من صفات وخلال وسجايا · انها ذكريات متى تذكرها المرء أرقت حنايا قلبه وأثارت له الاسى وجعلته يغرق في لجج من الحسرة واللوعة ، ولا أريد أيها القارىء أن أطيل وأترك لخيالي أن يستبد بشيء من وقتك فيجعلني هائما في بحر من الذكريات التي أوحتها طبيعة المكان ، فمن الخير ان نتناسى ذلك ونستمر في متابعة الرحلة ولا داعي للتفكير في الماضي ، ولكنه الاحساس الذاتي والتأمل النفسي فالى متابعة الرحلة ··

ففي مدينة غرناطة قام صديقنا الشاب الاسباني بمرافقتنا لزيارة الأحياء العربية القديمة ومشاهدة بعض البيوت والمعالم الأثرية فتجولنا بعد العصر في تلك الشوارع سائرين بين ممراتها الضيقة ورأينا آبار المياه القديمة ودار بيننا وبين بعض سكان هذه الاحياء محاورات لطيفة حيث وجدنا منهم استقبالا جميلا وترحيبا لطيفا ، ولقد دهشت لمظاهر هذه الحفاوة وحبهم للعرب وحفظهم لبعض الكلمات العربية التي قاموا بترديدها أمامنا وقام بعضهم بفتح بيوتهم لمشاهدتها للتدليل على أنها باقية

على التصميم العربي القديم وهي أشبه ما تكون ببعض أحيـــاء مدينة الطائف القديمة ..

والعجيب أن أغلب البيوت حتى الحديثـــة منها في مدينتي قرطبة وغرناطة لا تزال على النمط العربي ، فأبواب البيوت توجد على جوانبها مسامير صفر ويتوسط الباب حلقـة كبيرة الى جانب (فتحة) تتوسط الباب تشبه الى حد ما أبواب البيوت القديمة في مدينة الرياض ..

واستأجرنا عربة يجرها حصان انطلق يجري بنا بسرعة الى بعض الاماكن القديمة حتى شاهدنا بيوتا مهدمة قديمة قيل لنا انها كانت دورا للقضاء ومدارس للتعليم وغير ذلك ، ولقد أوحت الي هذه المناظر القديمة بترديد قول ابن خفاجة الاندلسي :

فاذا تردد في جنـابك ناظر طال اعتبار منـك واستعبار

أرض تقاذفت النوى بفطينها وتمخضت بخرابهـا الأقدار

وفي المساء شاهدنا في غرناطة احتفالا دينيا أقيم ليلا واستمر حتى آخر الليل ولقد زينت المدينة بأحلى حلة وامتلأت شوارعهـا بالجماهير .. ونصبت الكراسي في كافة الميادين والطرقات ليجلس عليها المشاهدون ، وابتدأ الحفل بعزف قامت به فرقة موسيقية ثم تلاها حملة الطبول ثم الخيالة تبـع ذلك عشرات من الفتيـان والفتيات يحملن المشاعل والورود وأغصـان الشجر والأعلام ثم جاءت عربة ضخمة بها نموذج لصورة السـيد المسيح من الذهب يحف بها رجال الدين والرهبان ورجال الجيش ثم صفوف أخرى من الشبان تجللوا لباسا تنكريا لا يبدو منه سوى عيونهم فقـــط وعلى رؤوسهم لفائف تشبه الطاووس واتجهوا الى الكنيسة لأداء الصلوات .. وسهر الناس تلك الليلة حتى الصباح ، وفي الصباح

ودعنا مدينة غرناطة الجميلة ونحن نحمل أجمل الذكريات قاصدين مدينة قرطبة ..

وقبل مغادرتنا مدينة غرناطة آخر ما كان يحتفظ به الغرب ابان حكمهم والتي سقطت عام ٨٩٧ هـ عرجنا على متحفها الأثري لزيارته والاطلاع على ما يحتويه من آثار ولوحات وقطع ، ومن ثم توجهنا الى مدينة (قرطبة) قاعدة الحضارة الاسلامية الزاهرة ومركز العلم والمعرفة اذ ذاك .

وفي الطريق شاهدنا عشرات القرى التي ذكرتنا بماضيها وذلك بما كنا نلمحه من آثار عربية وأطلال دارسة مما يوحي بمجد قديم ، وقد مررنا في الطريق بعشرات المزارع والمناظر الخضراء الجميلة من كروم وزيتون ، وبينما نحن نتأمل هذه المناظر بدت لنا معالم قرطبة ، وبعد وصولنا ذهبنا للبحث عن الفندق الذي كنا نحمل اسمه ،وبعد استراحة قصيرة خرجنا نطوف في شوارعها ، وكم لهذه المدينة العريقة في نفوسنا من ذكريات تاريخية رائعة فقد كانت من أعظم المدن الأندلسية وأجملها وكانت حافلة بالمعاهد ودور العلم ومقصد العلماء والشعراء والأدباء .

ومدينة قرطبة أصبحت حاليا مدينة أوروبية ذات شوارع أنيقة وتمتلىء بالمباني الحديثة الى جانب الأحياء القديمة ذات الدروب الضيقة وهي المجاورة للمسجد الجامع ـ ولعل من أهم آثارها (جامع قرطبة الشهير) وذهبنا لزيارته وسط ممرات ضيقة ووصلنا (الجامع) الذي عاصر الأيام الذهبية والسنين الزاهرة ، وبعد وصولي الجامع أحسست بشيء من الأسى والكآبة وخاصة حينما سرح بي الخيال وتأملت تاريخ هذا الجامع العظيم يوم كان ملتقى العلم والعلماء ووجدت آثار الاهمال وتحويله الى كنائس حاليا ، وحينما اجتزنا الى داخل الجامع بهرنا مما يحويه

من روعة البناء وعظيم التصميم ودقة الزخرفة ـ وتاريخ هـذا الجامع يعود الى عام ١٧٠ هـ حينما قام بانشائه عبد الرحمن الداخل الاموي ، وقد أراد عبدالرحمن الداخل أن يكون هـذا الجامـع من أروع جوامع الاندلس ، وقد توفي قبل أن يكمله فأتمـه ابنه هشام ، ثم قام الخلفاء من بعدهم بتوسـعته وادخال مزيد من الاضافات عليه ، ويقول الاستاذ محمد عبدالله عنـان في وصفه لهذا الجامع (يشغل مسجد قرطبة مسطحا كبيرا يبلغ طوله مائة وثمانين مترا وعرضه مائة وخمسـة وثلاثين مترا وهو أندلسي الطراز والمظهر بمعالمه وأوضاعه ونوافيره وأشجاره ·

وللمسجد من قبل تسعة عشر بابا فخمـة وقد زين بزخارف عربية جميلة ، وتبدو روعة هذا الاثر الاسلامي العظيم للداخـل من أول نظرة ويحار البصر في تأمـل عقوده وأعمدته العـديدة المتقاطعة التي لا تدرك العين نهايتها وتبلغ عقوده في الطول تسعة وعشرين ويبلغ ارتفاع سقفه نحو اثني عشر مترا ، ولاول وهلة يشـعر المتأمـل أنه في قلب مسـجد اسـلامي ولكنه متى دقـق البصر قليلا أدرك في الحال أن المسجد قد استحال الى كنيسـة بل الى كنائس فقد عدلت اسقفه على الطراز الكنسي وأزيلت القبـاب القديمة ما عدا القبة الرئيسية الوسطى وحلت محل قبابه نقوش نصرانية وأنشئت على طول جوانب الجامع الاربعة من الداخـل هياكل لا نهاية لها ونصبت فوقها الصلبان وتماثيل القديسـين وصورهم ولم يترك من جوانبه سوى المحرابين وأحـدهما قديم مخرب وأزيلت جميع الزخارف الاسلامية القديمة ورسمت صـور القديسين بين الزخارف ، وترجع قصة تشويه مسجد قرطبة الجامع على هذا النحو المؤلم الى أوائل القرن السادس عشر ذلك أنه لمـا سقطت قرطبة في يد النصارى ودخلها فاتحها ملك قشتالة أقيم في

الجامع قداس شكر واستمر الملوك الاسبان في ادخال تغيـــيرات جزئية في أوضاع الجامع وقد كان اقامة الهيكل الكبير في وسط الجامع مثار نقد شديد من العلماء الأثريين الغربيين من اســبان وغيرهم ، وقد وصفه بعضـــهم بأنه أشنع عمـــل همجى ارتكب لتشويهه ، وفي عام ١٩٥٣ م أزيلت منارة الجامع القديمة وأقيم فوق أنقاضها برج الاجراس الحالي ، ولقد حمل العلماء الاثريون وفي مقدمتهم العلماء الاسبان على هذا التشويه لأثر من أجل الآثار الاسلامية ووصفه بعضهم بأنه تدنيس للفن) ٠

ويصف الوزير المغربي محمد بن عبدالوهاب الغساني خلال زيارته لقرطبة عام ١١٠٢ هـ هذا الجامع قائلا :

هو مسجد كبير جدا في غاية الاتقان وحسن البناء وبداخله الف وثلاثماية وستون سارية كلها من الرخام الابيض بين كل سارية قوس فـــوق قوس آخر وله من الابواب الآن أربعة عشر بابا وقد سد كثير من الابواب وغيرها ، ومحرابه الاسلامي باق على حاله لم يتغير الا أنهم جعلوا عليه شباكا من نحاس وطرحوا أمامه صليبا فلم يدخل عليه أحد الا قبل ذلك الصليب ولم يزد بداخـــله ولا بحائطه شيء ولهذا المسجد صحن كبير جدا مشتمل على خصة ماء في وسطه ويدور بها في سائر الصحن من أشجار النارنج مائة وسبع عشرة شجرة ، ويقابل موضع المحراب من الصحن منار المسجد وهو منار كبير مبنى بالحجارة الا أنه ليس بغاية الارتفاع كمنـــارة طليطلة وأشبيلية الى أن يقول ان هذا المسجد من أكبر مســـاجد الدنيا وأعظمها صيتا ٠٠

وبعد أن أمضينا وقتا طويلا في جامع قرطبة وشاهدنا ما فيه من روعة وعظمة خرجنا لزيارة القصر المجاور له وهو قصر ضخم بني على الطراز العربي الاندلسي كان مقرا للخلافة ـ واتجهنـــا

للدخول من مدخله الرئيسي ولا يزال بابه الضخم الكبير محتفظا بقدمه وطابعه الشرقي ، وعنـــد مدخل الباب يوجـــد حراس ومرشدون ، وبعد قطع تذكرة الدخول دلفنا الى ســـاحة القصر وتجولنا في غرفه وقاعاته التي تبعث رؤيتها على شيء من الحزن والكآبة فكم شهدت من أيام زاهرة وسيادة وعظمة مجد ، وشاهدنا في داخل القاعات ومجالس السفراء والاروقة بعض النقوش العربية الى جانب التحف التي كان يحتفظ بها الخلفـاء ، وفي جانب من القصر توجد حديقة ضخمة كبرى تزينها البرك الواسعة والاشجار المتعددة ، والخمائل الجميلة ٠

ولا تزال المياه جارية بين جنباتها ، وصدفة التقينا بسـائح لبناني فقام يحدثنا عن القصر وعن مياهه فروى على حد تعبـيره قائلا : بأن هذه المياه التي تجري هنا لا تزال على مجراها الطبيعي يوم بني هذا القصر وأنه حتى الآن لم تعرف مصـادر المياه وأن المهندسين الاسبان يعترفون بالمهارة للمهندسـين العرب القدامى الذين قاموا بجلب هذه المياه واسـتمرارها الى اليوم ــ وهو أمر يدعو الى الفخر والاعتزاز ،وبداخل الحديقة التي توجد بها أشجار البرتقـــال بوفرة وجدنا عشرات الســـائحين يلتقطون الصور ويستمتعون بجو حديقة القصر الساحرة ونسماتها العليلة ٠٠

ومن ثم ذهبنا لمشاهدة القنطرة المجاورة للمسجد الجامـــع وهي كما يقال بناها الرومان وقام بتحسينها وتجديد بنائها حكام الاندلس المسلمون وقمنا بعد ذلك بجولة سريعة في داخل قرطبـة لمشاهدة الاحياء القديمة التي لا تزال محتفظة بالطابع الاندلسي ورؤية بعض المساجد التي حولت الى كنائس ، ولكم تذكرت بهذه المناسبة قول أبي البقاء الرندي حين بكى هذه المواطن ورثى هذه الربوع بمرثيته الشهيرة التي كنا نحفظها قديما :

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شأن
وأين حمص وما تحويه من نزه
فنهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان العلوم فما
عسى البقاء اذا لم تبق أركان
يا رب طفل وأم حيل بينهما
كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت
كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة
والعين باكية والقلب حيران الخ ..

وحينما رددت هذه الابيات التفت الي أخ عراقي فقال أكمل فقلت أنا لا أحفظ أكثر مما سمعت فأنا من الصنف الذي ينسى ما يحفظه بسرعة فقام مكملا هذه القصيدة وتلاوة المزيد من القصائد والاشعار التي تتغنى بمجد هذه البلاد وأيام محنتها وتبين لي بعد ذلك أنه من رواة الشعر وحفظته حيث أمضينا معه وقتا طيبا في مساجلات شعرية ومناقشات فكرية وعلمية بددت ما اعترانا من وجوم وامتعاض .

أما مدينة الزهراء ذات المجد والصيت الواسع التي قام بانشائها الخليفة عبدالرحمن الناصر فقد امحت ولم يبق لها الا بعض أطلال دارسة ، وقد كنا نقرأ عنها في التاريخ أنها من أروع المدن وأزهاها وأنه أنفقت الاموال في تشييدها واستمر بناؤها

ما يقرب من أربعين عاما ونيفا وانه جلب لها من الاثاث وأدوات الزينة ما يبهر العقل • وسمعت وأنا في قرطبة أن هناك حفريات للبحث عن آثار هذه المدينة ومعالمها التي ابتلعهـا الدهر وغمرها النسيان •

ومما قاله ابن زيدون وهو من أعظم شعراء العصر يشـيد بالزهراء ورائع ذكرياتها :

خليـلي لا فطر يسر ولا أضـحى
فما حال من أمسى مشوقا كماأضحى
لئن شاقني شرق العقـاب فلم أزل
أخص بمخصوص الهوىذلك السفحا
معاهد لذات وأوطـان صـبوة
أجلت المعـاني في الأماني بها قدحا
ألا هـل الى الزهـراء أوبة نازح
تقضت معـانيها مدامعه نزحـا
مقاصـير ملك أشرقت جنبـاتها
فخلنا العشاء الجون أثناءها صـبحا
يمثـل قرطيها لي الوهم جهـرة
فقبتها فالكوكب الرحب فانسـطحا
محل ارتيـاح يذكر الخلد طيبه
اذاعز أن يصدىالفتى فيه أويضحا
هناك الحمام الزرق تندى حفـافها
ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شـدو القيان خلالها
صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا

ولقد رثى الشيخ محيي الدين بن عربي الزهراء بأبيات قيل انه قرأها على بعض جدران الزهراء بعد خرابها وهي :

ديار بأكنـــاف الملاعب تلمـــع
وما ان بها من ســاكن وهي بلقــع
ينوح عليها الطـــير من كل جانب
فيصمت أحيــانا وحينـــا يرجــع
فخاطبت منها طـــائرا متغـــردا
له شـــجن في القلب وهـــو مروع
فقلت على مـــاذا تنــوح وتشتكي
فقال على دهر مضى ليس يرجـــع

وفي المساء ذهبنا لزيارة بعض الحدائق والمنتزهات الحديثــة ورؤية ما تبقى من السور القديم لقرطبـــة ، والتجوال في أهم شوارعها الرئيســـية الكبرى ومتـــاجرها الفخمة وميـــادينها الانيقة • وسمعت من بعض الاخوان العراقيين الذين التقيت بهم في قرطبة أنه توجد شوارع صغيرة الحجم تحمل أســماء ابن سينا وابن رشيد وغيرهما من الاندلسيين العرب •

وبعد انتهاء زيارتنا لقرطبة قلب الاندلس والتي قيل قديما في وصفها : قرارة أولى الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهي، وقلب الاقليم وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الاســـلام ، وحضرة الايام ، ودار صواب العقول ، وبستان ثمر الخواطر ، وبحر درر القرائح ، ومن أفقها طلعت نجوم الارض وأعلام البصر ، وفرسان النظم ، والنثر ، وبها أنشئت التآلقات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة •• الخ ••

وودعناها بعد أن أمضينا في ربوعها وقتا حافلا بالمتعة الفكريه

والعلمية ، ومليئا بالفائدة التاريخية ،وذهبنا لمحطة القطار للتوجه الى مدينة مدريد العاصمة ٠

وبعد أن ودعنا قرطبة عروس الأندلس ومدينة المجد والمعرفة والتي كانوا يقولون عنها قديما انها كانت من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ٠ توجهنا صوب العاصمة « مدريد » ـ وأمضينا الليل كله في السير ولم نصل مدريد الا في الصباح وقد كنا نلمح في الطريق المدن والقرى المتناثرة ويبدو في تصميم أغلب بيوتها الطابع الأندلسي ـ وعلى جوانب الطريق كانت المناظر الخضر ، الجميلة والغابات والمزارع وأشجار الزيتون المنسقة ٠

ومدريد من أجمل المدن الأوروبية تمتاز بروعة التنسيق وجمال التصميم في مبانيها وبراعة التخطيط الهندسي وتزخر بالحركة والحيوية والنشاط وتكتظ بالسكان والى جانب ما تضفيه مبادينها الفخمة وحدائقها الغن التي تبهرك بحسنها الفتان وتنسيقها البديع من بهاء وفخامة ورواء ٠

ولقد بقينا أربع ساعات ونحن نبحث عن فندق فأغلب الفنادق مليئة بالنزلاء أو محجوزة للسائحين القادمين ٠٠٠ وبعد بحث طويل اهتدينا الى أحد الفنادق التي وجدنا بها مكانا ٠

ومن أجمل ما في مدريد شارعها الضخم الفسيح الذي يمر بوسط العاصمة وعلى جوانبه المنتزهات والمحلات التجارية والميادين التي تجملها النافورات ٠ وخلال اقامتنا بمدريد تمكنا من زيارة ـ لأغلب المعالم السياحية والمشاهد الأثرية وبعض المتاحف التي تحوي بعض الآثار والزخارف العربية الاسلامية ٠ ولقد حرصت على زيارة مكتبة مدريد التي سمعت أنها تحفل بالكتب العربية والمخطوطات الأندلسية ولكن ضيق الوقت حال دون تحقيق ذلك ٠٠٠

مصارعة الثيران :ـ

ولعل من الظواهر التي تلفت نظر السائح في أسبانيا هي مشاهدة مصارعة الثيران وبعد قطع تذكرة الدخول التي تباع في كل مكان ذهبنا الى ميدان المصارعة ووجدناه مزدحما بالجماهير ومصوري السينما والتلفزيون والصحافة ومليئا بأفواج من السائحين الذين جاؤوا لمشاهدة هذه اللعبة ـ وبعد صعوبة تمكنا من الدخول ـ ولقد كان مشهدا مثيرا ـ ويبتدىء الدور الأول بأن يفتح الباب ويدخل الثور التعيس الى مكان المصارعة ويأخذ يصول ويجول بقرونه الطويلة ومن ثم يدخل أحد الشبان ممتطيا جوادا وفي يده آلة حادة طويلة ويظل في صراع ومبارزة مع الثور الى أن يتمكن منه ويغرس في جوفه الآلة التي في يده الى أن ينزف دمه ومن ثم يعود مرة أخرى الى مبارزته الى أن ينزف دمه ومن ثم يعود مرة أخرى وبعد تسديد الضربتين يخرج الشاب بجواده من الحلبة بحيث يأتي مجموعة من الشبان يأخذون في مصارعة الثور بعد أن يكون قد فقد شيئا من حيويته ونشاطه وضعفت مقاومته ويستمرون في التلويح له واثارته ـ بشارة حمراء وكلما رفعت للثور استشاط غضبا وهياجا واندفاعا ويزداد هجومه وتقوى مقاومته ولكن يتصدى له أحد الشبان بخفة وبراعة فيغرس في جوفه سكينا حادة ويستمر غرس السكاكين في جوفه الى أن تخور قواه وتتضاءل مقاومته فيخر صريعا ويسقط على الارض وبعد سحبه من حلبة المصارعة يدخل ـ ثور آخر وهكذا دواليك تستمر عملية النزال والطعان وقد شهدنا مصرع سبعة من الثيران ـ تمكن بعضها من جرح خمسة من المصارعين واستمر وقت المصارعة ساعة ونصف .

والواقع أنه مشهد مؤلم يثير الامتعاض والأسى اذ كيف

يهضم هؤلاء تعذيب الحيوان بهذه الصورة البشعة التي تتنافي مع الدين والخلق والذوق ٠

ومهما قيل في تبرير ذلك من أنها مورد سياحي هام ومصـــدر دخل كبير فان أسلوب المصارعة بهذه الآلات الحادة غير لائق أبدا وتعذيب الحيوان المسكين الذي نادت التعاليم ـ الدينية بالرأفة والرفق به ٠ وخرجت من ميدان المصارعة وأنا أحمـــل أســوأ الذكريات وأقسى الانطباعات ٠

وبعد زيارة لأهم معالم مدريد السياحية ذهبنـــا الى مدينة « الحسيراس » متوجهين صوب « مضيق جبل طارق » ـ ومن جبل طارق ركبنا البحر قاصدين مدينة « طنجة » الثغر المغربي الباسم حيث تمكنا من زيارة أهم المدن المغربية ـ كالرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس ـ ومكناس ووجده وغيرهما ٠ وما تحفل به من آثار اسلامية قديمة ٠

جبل طارق (١)

رأيتها فرصة طيبة أن أقوم بزيارة لجبل طارق رغبة في الاطلاع وحرصا على اكتساب المعرفة سيما وهو حافل بالآثار الاسلامية لأسبانيا وغيرها من البلدان الاوروبية فقد وصل اليها عظيم شهد مرحلة تاريخية هامة ولعب دورا رئيسيا في الفتوحات الاسلامية لأسبانيا وغيرها من البلدان الاوروبية فقد وصل اليها الجيش العربي الاسلامي بقيادة البطل الشجاع طارق بن زياد فاتح البلاد الاندلسية حين توسم فيه مولاه موسى بن نصير والى افريقية في خلافة الوليد بن عبد الملك قوة العزيمة وصلابة الرأي والقدرة على ادارة الجيش والتأثير فيه ويحدثنا التاريخ بأنه قد ركب وجنده أربع سفن وكانوا سبعة آلاف رجل من المجاهدين المؤمنين • وعندما علم « لذريق » حاكم اسبانيا بنزول الجيش الاسلامي في الجزيرة الخضراء أعد جيوشه لمنازلة المسلمين وقتالهم ولم يفت ذلك في عضده بل أخذ يفتح القلاع والمدن حتى بلغ جيشه اثنى عشر ألفا واستطاع أن يقهر جيش لذريق حيث هجموا على عدوهم وتقدم طارق الى لذريق فضربه وقتله وحلت الهزيمة بجنده ولقد كان لخطبة طارق الشهيرة أكبر الاثر وأبلغ الحماس حيث حثهم فيها على الجهاد والصبر والايمان •

وفي ذلك تقول الانشودة الاسبانية مصورة أبلغ تصوير ذلك اليوم وما آلت اليه حالة لذريق :

---

(١) كانت الرحلة في عام ١٣٨٤ هـ •

ومـــزق جيش لذريق وخـــارت
بمن فيـــه العـــزائم والقـلوب
وحـــين رأى الهزيمة فر يبـــدو
وحيـــدا مســـتكينا لا يـــؤوب
عليـــه من ثيـــاب الحرب ثـوب
ومـــن لون الدمـــاء بـــه لهيب
وتحمـل كفـــه ســـيفا خضيبا
كمنشـــار أفلتـــــه الحـروب
فلامـــة رأســـه فيهـــا شـقوق
وخـــوذة رأســه فيها ثقـــوب
أطل بقمـــة فـــرأى دمـــارا
لـــه كادت حشـــاشـــته تذوب
وأعـــلاما ممزقـــة تبـــدت
وكل بالـــدم القـــاني خضيب
وجال بســـمعه للـــرب صـــوت
بنصرالله ردده الســـــــهوب
رأى قـــواده فـــروا وأبقـــوا
جريحـــا أو قتيـــلا لا يجيب
فقـــال وقد بـكى قد كنت ملـكا
ومـــاذا ينفـــع الآن النحيب
ونمت الامس فوق فـــراش عـــز
وفرشي اليوم تجفوه الجنـــوب
جثـــا الخدام أمس أمـام عرشي
وليس اليـــوم لي منهم عـــريب
فيـــوم ولادتي يـــوم عبـــوس
ويـــوم ولايتي يـــوم عصيب

فمـــا أشقى نهاري حـــين أرنـو
لشمس الافـــق يحجبهـــا المغيب
فعجـــــل أيهـــا الموت المـــرجى
فمالي اليـــوم في الدنيـــا حبيب

وجبل طارق سكانه خليط من الأســبان والانجليز وقليـــل من الهنود الذين يمارسون اعمالا تجارية ٠

وصخرة جبل طارق يشاهدها المرء من مسافة بعيدة جـــدا فهي مرتفعة فقد كنا نشاهدها بوضوح وجلاء ونحن في الاراضي الاسبانية ولا يزال الجبل معروفا ومشهورا باسم جبـــل طـــارق وبعد أن تركنا آخر الاراضي الاسبانية وقفنا عند مركز الدخول صوب الجبل وسط طابور كبير منالسائحين الاوروبيين والأمريكيين الذين يصلون الى هذا الجبل أفواجا لزيارة ما فيه من آثار تاريخية ومعالم أثرية قديمة ٠٠٠٠

وبعد السير بضع دقائق دخلنا مدينة (جبل طارق) وتقـــع على سفح الجبل وتمتاز بمناظرها الخلابة الساحرة ــ ومتاجرها الانيقة وشوارعها النظيفة وتزخر بالحركة والنشاط السياحي الى جانب كونها سوقا دولية حرة تباع فيها البضـــائع بأزهـــد الاثمان مما يغري السائح على مضاعفة الشراء ورجوعه خـــاوي الوفاض وللوصول الى جبل طارق طريقان طريق بحري وهـــو بالنسبة للقادم من افريقيا والمغرب العربي وطريق بري بالنسبة للقادم من اسبانيا وأوروبا ٠

ويوجد بالمدينة سور قديم يرجع تاريخه الى أيام المسلمين ابان فتوحاتهم الى جـــانب بعـــض الآثار الاندلســية التي ــ أخذت في التلاشي والاندثار ٠ كما يوجد متحف يحتوي على بعض الآثار

الاسلامية والواقع أن هذا الجبل غني بالذكريات فقد كان دعامة كبرى للجيوش الاسلامية وعاصما لها من الأخطـــار التي كانت تحدق بها وكان بمثابة همزة الوصل بين أوروبة والمناطق الاسلامية وطالما نشبت المعارك وقامت الحروب بين المسلمين والاســبان في محاولات الاستئثار به وبسط النفوذ عليه لكونه ذا أهميـــة استراتيجية وممر مائي حيوي • وقاعدة حصينة للجيوش ممـــا يدل على فعاليته ولكم تذكرت وأنا أطوف بين شـــوارع المدينة وخارجها وعلى سفح الجبل خطبة طارق الرائعة حيث يقول لجنده (أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته موفورة وأنتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منـكم الجرأة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهـــاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت واني لم أحذركم أمرا انا عنه بنجوه ولا حملتكم دوني على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشـد قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هـــذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا أني مجيب الى ما دعوتكم اليه واني

عند ملتقى الحملين حامل بنفسي على طاغيـــة القوم (لذريق) • فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه • وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله) •

حقا ما أروع هذه الخطبة فقد كانت حافزا كبيرا للجنـــد ودافعا قويا للبسالة والتضحية ولقد أورد كثير من المؤرخين القدامى أن سقوط الجبل واستيلاء الاسبان عليه كان عاملا كبيرا في انهزام المسلمين في الاندلس وضياع ملكهم •

وبعد قضاء وقت ممتع في التجوال في هذه المدينة التاريخية ركبنا البحر متوجهين الى مدينة (طنجة) المرفأ المغربي الجميـــل مرددا مع الشاعر العربي قوله :

أشوقا ولما يمض لي غير ليـــلة فكيف اذا جد المسير بنا شهرا

ساعات فى مكتبة الكونجرس

المكتبات فى كل أمة عنوان رقيها وتطورها فهى تؤدى أصدق خدمة وأجلها اذ تساهم في تكوين الحاضر والتهيئة للمستقبل فهي من أهم ركائز المجتمع اذ تتحف عشاق المعرفة ورواد العلم والآداب بينابيع ثرة من المعارف والفوائد والعلوم ·· فهى حجر الزاوية فى تكوين المواطن القـــارىء والمجتمع القـــارىء ·· ومكتبه الكونجرس الامريكى هى أكبر المكتبات فى العالم تستأثر باهتمام الزائرين اذ يحرص كل فرد يصل الى تلك الربوع على زيارتها فقد أصبحت شهرتها تجذب الناس اليها ·· (١)

ولقد أتيح لى زيارة عدد كبير من المكتبات فى مختلف البلدان ولكنى لم أشاهد مثيلا لهذه المكتبة فهى أضخم مكتبة فى العـــالم في نظرى · وخلال زيارة لمدينة واشنطن العـاصمة ذهبت لزيارة تلك المكتبة وبقيت أتجـــول فى ردهاتها وبين مختلف قاعاتهـا وخزائن كتبها عدة ساعات ·

ولكم بهرت وأنا أشاهد ما تحفل به هذه المكتبة من روائـع الحضارات وما تزخر به من شتى الثقافات وما تفيـــض به من ملايين المجلدات فى مختلف ميادين المعرفة وفنون العلم وضروب الآداب والحضارات القديمة والحديثة ومصادر البحث ودوائـر المعارف بالاضافة الى ما حفلت به من مختلف الفهـارس العـــامة والخاصة والمنوعة الى جانب الموسوعات التى يجد الباحث فيهـــا مبتغاه ويروى ظمأه من هذه المناهل العذبة الوافرة ·

ورغم تلك الساعات التى قضيتها فى رحاب هـذه المكتبة نم

(١) لقد قمت بزيارة هذه المكتبة في عـــام ١٣٩٣ هـ حـــين كنت موفداً للدراسة في الو· يات المتحدة الأمريكية ·

أتمكن من مشاهدتها كلها ورؤية كافة جوانبها ففيها يتوافر كل ما يحتاجه الباحث من مصادر البحث والمعرفة ونظرا لوجود المراجع وهى من أهم أسس المكتبات اذ هى عماد المعرفة وركيزتها وهى السبيل الوحيد للاطلاع الواسع على مختلف أنواع الثقافة والمعرفة قديما وحديثا ولكى تقوم المكتبة بواجبها على الوجه الاكمل يجب تزويدها بالعديد من المراجع التى تقوم بحفظ المعرفة والثقافة على مر العصور والاجيال ٠

فالكتب هى السجل الدائم للحضارة والثقافة الانسانية وستبقى باستمرار ذات أثر بارز وحيوى للوفاء بالاحتياجات العلمية والثقافية والتربوية ٠

ومن هنا تبدو أهمية مكتبة الكونجرس العلمية فلقد شاهدت العديد من الباحثين والمؤلفين جاءوا من مختلف الولايات وشتى الجامعات ومراكز البحوث الى جانب العديد من الطلاب ممن يحضرون رسائل الماجستير والدكتوراه غارقين فى بحر من الكتب والنشرات والقصاصات والدوريات ٠٠٠ والخرائط والصور واللوحات التوضيحية والشرائح التعليمية والافلام الناطقة والصامتة الى غير ذلك من الاجهزة الحديثة التى تعرض بها المواد البصرية والسمعية ٠٠ مما جعلها تمتلىء بالرواد والزوار ٠

ولقد جرى تصميم هذه المكتبة على أحدث طراز فى فن البناء وزينت بالصور والرسوم الجميلة الى جانب الذوق الفنى الرفيع فى بنائها اذ هى تقع فى أبرز مكان بمدينة واشنطن وبجوار مجلس الكونجرس الامريكى والمحكمة العليا وتمتاز تلك المنطقة بجمالها الفتان ومناظرها البديعة وخمائلها المبهجة التى تسر الناظرين ٠

والحديث عن المكتبات حبيب الى النفس وقريب الى القلب

وكيف لا يكون كذلك وهى أكبر مظاهر التقدم والمقياس الصحيح لرقى الامة فاذا أردت أن تعرف هل ارتقت أمة أو انحطت وما مقدار هذا الرقى أو الانحطاط فاعرف عدد مكتباتها وقرائها فبمقدار عدد المكتبات وروادها يكون الرقى أو عكس ذلك دليل على الضعف والخمول ٠

ولمكتبة الكونجرس الامريكيـة رسالة عظيمة تؤديها وليس أجدى وأنفع من تقديم العلم والمعرفة بأيسر السبل فقد شـاهدت الآلاف من الشباب يتهافت على دخول المكتبة بدافع من الجد الفائق والنشاط الكبير ٠٠ ومع هذه الاعداد الكبيرة من الناس فان لهذه المكتبة نظاما عاما يخضع له الجميع من رواد وزوار فلا صـخب ولا ضجيج ويمنع التصوير داخل المكتبة الى غير ذلك من التعليمات ٠٠٠ ولقد حصلت لى قصة طريفة فقد كنت أحرص على اصطحاب مكينة تصوير سينمائية فى كل مكان أذهب لزيارته وقبيل زيارة المكتبة نفدت كل الافلام اذ قمت بالتقاط الكثير من الصور فى برج واشنطن ومتحفها الكبير وعلى الفور أخذت سيارة أجرة للفنـدق الذى أقيم فيه وصعدت لغرفتى فبحثت فلم أجد شيئا فذهبت لبعض المحلات فأرشدونى الى أن الافلام الخاصة بهذه الآلة توجد فى مكان يقع بالقرب من برج واشـنطن فذهبت الى هناك وبعد أن وجدت ٠٠٠ ضالتى فرحت بذلك وتوجهت صوب المكتبة وعنـد بابها أخبرنى أحد الحراس قائلا ممنوع التصوير داخـل المكتبة فقلت لقد أضعت سـاعتين فى البحث عن فيلم التقط به صـورا لهذه المكتبة وتخليـدا لزيارتها ولو كنت أعرف ذلك لما أضعت وقتى متنقلا من مكان الى مكان فى وسط شوارع واشنطن الضخمة فقال ان تعليمات المكتبة تنص على ذلك وبامكانك ترك المكينة هـنا أو اصطحابها معك مع ملاحظة عدم التصوير ٠٠٠ والقصد من ذلك

كما فهمت هو عدم ازعاج القراء وغير ذلك من الاسباب لانى دخلت متحف واشنطن فكادت عيناى لا تبصران ما فى داخل المتحف نظرا لكثرة التقاط الصور من السائحين والزوار بدرجة تزعج المشاهدين وخاصة ان آلات التصوير تطورت تطورا هائلا وأصبحت عدسات الاضاءة تجهر كل عين وتؤذيها ٠

ولنعد الى الحديث عن مكتبة الكونجرس فلقد عهد بتنظيمها الى أكبر الكفاءات العلمية البارزة هناك فرغم ما تحويه من كتب وموظفين وخبراء فقد نظمت العلاقات المختلفة بين هذه الجماعات العاملة فيها كأنها آلة ميكانيكية متحركة فليس هناك شيء اسمه من اختصاص الجهة الاخرى ٠ فقد أمطرنا المرافق الذى خصصته لنا ادارة المكتبة بوابل منهمر من الاسئلة العامة والخاصة والدقيقة فكانت الاجابات فى منتهى السرعة والوضوح سواء منه أو من سواه ٠

ويعود تاريخ مكتبة الكونجرس لعام ١٨٠٠ م ويوجد بها حاليا من الكتب خمسة وثمانون مليونا ما بين كتاب ووثيقة ومخطوطة أما عدد الكتب فهي ستون مليون كتاب ومائة وعشرون ألفا من مجلدات الجرائد والمجلات الدورية والعامة و ٧٥٠ ألف بكرة ميكروفيلم و ٢٠ مليون مخطوطة أكثرها يتعلق بتاريخ امريكا وحضارتها و ٣ ملايين خارطة و ٣ ملايين صورة وشريحة ومئات الآلاف من الاسطوانات الموسيقية وغير الموسيقية والافلام ٠

والى جانب ما أتاحته للقراء المبصرين فلم تغفل اخوانهم المكفوفين اذ يوجد بها أكثر من مليون ومائتى ألف كتاب مجلد مطبوعا على طريقة برايل الى جانب الاسطوانات وغيرها الخاصة باستعمال الاخوة المكفوفين ٠

كما أن عدد موظفيها والعاملين بها أربعة آلاف شخص ولقد

سألتهم عن أقدم كتاب يوجد بهذه المكتبة الكبيرة فقيل لى ان أقدم كتاب بها يرجع تاريخه الى ما قبل أربعة آلاف سنة وهو من مصر ٠

ولقد شاهدت بها كتابين أحدهما من جلد الغنم والآخر من جلد العجل يعود تاريخهما الى ما قبل خمسمائة عام وقد كتب عليهما الانجيل ٠ كما توجد قاعة خاصة حفظت بها جميع رسائل قادة أمريكا ورؤسائها منذ أكثر من مائتى عام ووضعت كل رسالة فى داخل زجاجة مقفلة تحمل توقيعاتهم ٠٠ ولقد عن لى أن أسأل عن عدد اللغات التى كتبت بها هذه الملايين من الكتب والمجلدات فكانت اجابة مرافقنا عن ذلك سريعة هى مائتان وخمسون لغة قديمة وحديثة تمثل مختلف لغات العالم ٠ والى جانب ذلك توجد خمس عشرة قاعة للمطالعة على أحدث طراز وكل قاعة على شكل قبة تحتوى على مختلف الصور والرسوم ويشاهد فى أعلى كل قبة رسوم رائعة خلابة لمختلف الحضارات ومن بينها الحضارة الاسلامية وبها جذع شجرة يعود تاريخه لاكثر من سبعة آلاف سنة على حد تعبير مرافقنا وهذه الاحصائيات التى أوردتها أخذتها مشافهة عن موظف المكتبة الذى خصصته ادارة المكتبة لمرافقتنا والاجابة على أسئلتنا ٠

وأمام هذا البحر المتلاطم الزاخر بالعلم والمعرفة والكتب دار فى ذهنى تساؤل عن الكتاب العربى واللغة العربية وهل تبوأت مكانة لائقة بها فى هذه المكتبة العريقة ٠ فلا ريب أن الثقافة الاسلامية والعربية بلغت مكانة مرموقة وصيتا ذائعا وبقيت تلك الكتب لامعة فى سماء العلم والمعرفة بما تحمله من آثار جليلة فى حقول العلم ورياض الآداب وميادين الفكر قديما وحديثا ٠٠٠ فتوجهت بسؤال عن عدد الكتب العربية الموجودة فى هذه المكتبة

وخلال دقائق جاءت احصائية بذلك بأن عدد الكتب العربية ثمانون ألف كتاب كما يوجد (٢٥٠) مائتان وخمسون ألف عنوان لكتب ومؤلفات عربية ٠

ولعل مما يثير الدهشة أن كل ثلاث ثوان يدخل الى هذه المكتبة كتاب جديد ٠

وبعد تجوال طويل تركت هـــذه المكتبة حاملا لها أجمـــل الذكريات انها لجديرة بكل اعجاب وخليقة أن تذكر فى ســـجل أوائل المكتبات الحديثة على مر الاجيال ٠

تحية أديب وكتاب

مهداة الى الصديق الاستاذ عبدالله الحمد الحقيل بمناسبة صدور كتابه

« كلمات متناثرة »

كلمـــــات أم درر ضـــمها هـذا الأثـر
أم ريـــاض للربيـــع زانهـــا حسن الزهـــر
جادهـــا الغيث بـكورا فأفـــاضت بالثمر
غـــردت أطيـــارها فوق أغصـــان الشـجر
أنشـدت صـــداحة تحكى أنغـــام الوتر
أدب زاهى الـــرؤى صـــفته حتى ازدهـــر
ببيـــان ســـاحر جامـــع شتى الصـــور
تبرز المعنى بديعـا في حـــوار مبتـــكر
يا أديبـــا شـــأنه جمـــع آيات العبـــر
لم تزل تهدى الفنـــون محييـا مـا قد دثـــر
فنك الهـادي الرفيـــع ضوؤه ضـــوء القمـر
يا حقيـــلا ممـــرعا نبته الورد الذفـــر
سفرك الغـــالي الثمـين جـــلوة الطـرف أغر ٠

أبو ابراهيم

الفهـــــرس

مقدمة الطبعة الأولى :

مقدمة الطبعة الثانية :

	ص
السلام عليكم	٧
اللغة العربية الفصحى ودعاة العامية	١٠
لمحات من حياة الشاعر الشاب طرفة بن العبد	١٩
أهمية احياء التراث العربى والاسلامى	٣٣
الاديب والمجتمع	٣٦
افتقارنا الى النقد الادبى	٣٩
العقاد ، فقيد الادب والمعرفة	٤١
دور الشعر وتأثيره	٤٤
حوار أدبى	٤٧
الجائزة الادبية وفعاليتها	٥٠
تأثير البيـــان	٥٣
أهمية الكتاب ومتعة القراءة	٥٦
أهمية حفظ الآثار	٥٩
لغتنـــا العريقة	٦١
من أهداف رسالة المعلم	٦٣
المدرسة والمنزل ورسالتهما التربوية	٦٧
أثر التدريب التربوى	٦٩
هذه الدورات	٧١
ضبط النفس	٧٥
البيت وأثره فى التربية	٧٨
العلم والمعرفة عند أسلافنا	٨٠

	ص
العـلم مثابرة	٨٣
المجتمع الصالح.	٨٤
فى طريق المعـرفة	٨٦
تعـليم الفتـــاة	٨٨
حسن الخلـق	٩٠
معنى العيـــد	٩٢
ليشهدوا منافع لهم	٩٥
الاســلام قوة وعمل	٩٨
الوفاء بالوعـد	١٠١
لنتبرع بســخاء	١٠٣
رعـاية الوالدين	١٠٥
الأفكار البنـاءة	١٠٨
التفاؤل مصدر النجاح	١١١
أهمية المحافظة على الوقت	١١٣
بالصناعة نساهم فى تطوير بلادنا	١١٥
دور الطرق فى نهضة البلاد	١١٧
التواضـــع	١١٩
هواية غير مفيدة	١٢١
خطوات على أرض الاندلس	١٢٣
جبـل طـارق	١٣٩
ساعات فى مكتبة الكونجرس	١٤٤
تحية أديب وكتاب	١٥٠

دار الأصفهانى للطباعة بجدة